فكر حسن حنفى
فى ميزان الإسلام

د. محمود رشاد محمد
المدرس بقسم الثقافة الإسلامية
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

من ٣٠٧ إلى ٤٠٠

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين ؛ ثم أما بعد....

فمما أكرم الله به الباحث أن قامت اللجنة العلمية الدائمة الموقرة عام ٢٠١٢م باختيار هذا الموضوع كبحث مرجعى لمناقشة فكر رأس من رؤوس أهل الحداثة([١]) الأستاذ الدكتور حسن حنفى ، وعرض آرائه وأفكاره على ميزان الإسلام القويم ؛ للخروج بنتيجة مفادها : هل يتفق فكره مع صحيح الدين أم لا؟

ثم كان أمر إلغاء البحث المرجعى من قبل الجامعة ؛ فتراءى للباحث تقديم هذا الموضوع كبحث تدعيمى لأمرين:

الأمر الأول: الاستفادة من اختيار الأساتذة الكرام والمعلمين الأجلاء لهذا الموضوع؛ وهم بلا شك أكثر خبرة ودربة فى معرفة الموضوعات التى تحتاج إلى دراسة، وبحث، وتنقيب؛ لاسيما وأن الباحث تلميذ لديهم يرشف من أدبهم ، وينهل من علمهم .

الأمر الثانى : عرض ما اجتهد فيه الباحث – قدر الطاقة – من نتاج علمى على أساتذته ومعلميه للحكم وإبداء الرأى ؛ وبيان هل تصلح هذه الدراسة فى تجلية الحقائق أم لا ؟

---

[١] – (الحداثة: مذهب فكري أدبي علماني، بنى على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية... وغيرها، وتهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية بحجة أنها قديمة وموروثة ، والحداثة خلاصة مذاهب خطيرة ملحدة، ظهرت في أوروبا كالمستقبلية والوجودية والسريالية وهي من هذه الناحية شر لأنها إملاءات اللاوعى في غيبة الوعى والعقل، وهي صبيانية المضمون وعبثية في شكلها الفنى وتمثل نزعة الشر والفساد في عداء مستمر للماضى والقديم، وهي إفراز طبيعى لعزل الدين عن الدولة في المجتمع الأوروبى، بدأ مذهب الحداثة منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى تقريباً في باريس على يد كثير من الأدباء السرياليين والرمزيين والماركسيين والفوضويين والعبثيين، ولقى استجابة لدى الأدباء الماديين والعلمانيين والملحدين في الشرق والغرب. حتى وصل إلى شرقنا الإسلامي والعربى) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامى – ج٢ص١٦٤ – دار الندوة العالمية بدون.

والباحث يرجو من الله سبحانه وتعالى أن تكون هذا الدراسة محلًا للقبول فى الدنيا والآخرة.
وموضوع (فكر حسن حنفى فى ميزان الإسلام) يظهر الصراع الفكرى بين فريقين :

فريق يرى الإسلام علاقة روحية شعورية لا تحتاج إلى شعائر، ولا عبادات؛ يعتمد المسلم فيها على عقله ثم عقله ، فالعقل هو الفيصل فى العبادات ،والمعاملات حتى فى الغيبيات ! ويزعم هذا الفريق أن هذه الرؤية هى التى أخرجت أوربا من قرونها المظلمة؛ وهى المنقذ لنا من الظلام الدامس الذى نقبع فيه؛ ونسى أو تناسى الفروق الجوهرية بيننا وبين أوربا؛ والتى يصعب معها تطبيق المنهج الغربى بمفرداته دون غربلته بمصفاة الشرع الحنيف ؛ وقبول ما يوافقنا، ورد ما يخالفنا.

وفريق آخر يرى الإسلام غضًا طريا؛ يعتمد على قواعد وأصول لا يجوز تجاوزها، ولا يصلح هدمها ؛ وفى الوقت ذاته يحترم العقل ، ويبيح له العمل فى إطار القواعد الكلية؛ مما يضمن مواكبة المستجدات والمتغيرات ؛ فيتطاول بناء الإسلام بالاجتهاد إلى عنان السماء ، ويضرب بالحفاظ على قواعده إلى قرار الأرض.

لذا تكمن أهمية الوضوع فيما يلى:

١- إن تحليل فكر حسن حنفى؛ هو تحليل لمدرسة الحداثة ورجالاتها؛ لأن المنهج الفكرى واحد مع اختلاف بسيط فى بعض المفردات، والجزئيات؛ لذا فإن مناقشة وتحليل فكر حسن حنفى بمثابة تحليل لنظرائه وأشياعه من أهل الحداثة .

٢- يمثل حسن حنفى أحد أوجه الصراع المستمر والمستعر فى تحديد الهوية الثقافية؛ فهو يمثل تيارا ثقافيا يتذرع بأفكار السابقين من الفرق الضالة، ويغلفها بألفاظ التقدم، والتنوير، والحداثة؛ لذا تأتى أهمية البحث فى كشف الزيف، والخداع الذى يغرر به هذا التيار الثقافى أتباعه ومعجبيه .

٣- تتبنى كثير من المؤسسات العلمية والثقافية فكر حسن حنفى ونظرائه باعتباره المنقذ من الضلال، والجهل، والتخلف، والمفضى إلى التقدم، والرقى؛ فيأتى هذا الموضوع ليناقش هذا التدافع الثقافى بعيدا عن الهالات الكاذبة، والكلمات المغررة .

أسباب اختيار الموضوع : لقد منَ الله علىَ باختيار هذا الموضوع من قبل اللجنة العلمية الدائمة؛ وأنا أشكرهم على هذا الاختيار؛ لأنهم فتحوا لى بابا من أبواب المعرفة فى مناقشة فكر أهل الحداثة؛ وعلى رأسهم الدكتور حسن حنفى.

طريقة البحث:

سلكت في هذا البحث ما يلى:

- **التزام الأدب فى الحديث عن الدكتور حسن حنفى ، والابتعاد عن السب، والقذف، والاستخفاف ، وكل مالا يتفق مع آداب البحث العلمى .**
- **مراعاة الحيدة العلمية فى البحث ؛ خاصة فى الأمور التى فيها مقارنات.**
- **عزو الآيات إلى سورها ، وتخريج الأحاديث من مظانها، وإذا كان الحديث فى الصحيحين ذكرت رقم الحديث وبابه وكتابه، وإذا كان فى غيرهما زدت عملاً آخر وهو الحكم عليه وبيان درجته، واعتمدت على تحقيق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله للمسند.**
- **توضيح الكلمات الغامضة فى الآيات أو الأحاديث أو الآثار أو النصوص.**
- **التعريف بالأعلام ، ووصف البلدان والأماكن الغير مشتهرة.**

إشكالية البحث:

١- صعوبة حصر نتاج الدكتور حنفى العلمى؛ لكثرته، وتفرقه ، فضلا عن كون الرجل مازال حيا يمارس نشاطه العلمى، لذا أجد المنهج الاستقرائى الناقص وحده خير مسعف للحكم عليه.

٢- صعوبة الحكم على الدكتور حنفى فى كثير من المسائل لتناقض آرائه فيها؛ مما استلزم أن يكون الحكم عليها من غالب أقواله وأظهرها.

٣- صعوبة مقابلة الدكتور حنفى فى هذه الأيام؛ لعزوفه عن المقابلات الشخصية، واللقاءات العامة، واكتفائه بمقال يكتبه، أو لقاء تلفزيونى يظهر فيه، مما جعلنى أستعيض عن مقابلته الشخصية بمشاهدة مقابلاته التلفزيونية والتعقيب عليها .

منهجى فى البحـــــــث:

كتب حسن حنفى فى مجالات عدة من فروع العلم؛ فتوسَع، وتشعَب، ونوَع ؛ مما دفع الباحث لاستخدام المنهج الاستقرائى الناقص؛ لاستنباط أصول فكره والحكم عليها،

والمنهج الاستقرائى الناقص يعنى: (استنتاج قضية عامة من قضية جزئية ،واستخلاص نتائج من شيء نعرفه معرفة يقينية تلزم عنه)([١])

واستخدمت المنهج التاريخى عند تحليل الأقوال التاريخية التى قال بها حنفى، وفحصها، ونقدها

كما يتطلب المنهج (من طرق التحليل، والتركيب التاريخية ، وفحص الوثائق) ([٢])

وتأتى التتمة فى عرض فكره على ميزان باستخدام المنهج النقدى والمنهج المقارن؛ لمناقشة أصول فكره، ومزاعمه فى العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والمنهج المقارن هو : (إجراء مقارنات بين الظواهر المختلفة لاكتشاف العوامل التى تصاحب حدثا معينا)([٣])

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول ، وخاتمة:

أما المقدمة: فبينت فيها عناصر المقدمة العلمية.

وأما التمهيد: فعرفت فيه عنوان البحث تعريفا يحدد المراد منه .

وأما الفصل الأول: فجاء بعنوان : (أصول فكر حسن حنفى فى ميزان الإسلام)

وتكون من مدخل توضيحى و أربعة مباحث:

أما المدخل التوضيحى: فجاء بعنوان: المنابع والروافد التى أثرت فى فكر الدكتور حنفى

المبحث الأول : أنسنة الدين

---

[١] – مناهج البحث العلمى وضوابطه فى الإسلام– ا. دحلمى صابر ص٤٣،٤٤– ايجيبت للطباعة ط٢ ٢٠٠م

[٢] – مناهج البحث عند مفكرى الإسلام واكتشاف المنهج العلمى فى العالم الإسلامى – ا.د /على سامى النشار : ص ٢٧١دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٨م

[٣] – البحث العلمى مفهومه وأدواته وأساليبه د. ذوقان عبيدات وآخرون ص٢٥٦دار الفكر ط١٤١٨هـ–١٩٩٨م

المبحث الثانى : تقديم العقل على النقل

المبحث الثالث: التفسير التاريخى للدين

المبحث الرابع : العلمانية

وأما الفصل الثانى : فجاء بعنوان : (ثمار أصول حسن حنفى الفكرية فى ميزان الإسلام)

وتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : العقيدة

المبحث الثانى: الشريعة

المبحث الثالث: الأخلاق

وأما الخاتمة: فذكرت فيها:(حسن حنفى ما له وما عليه)كنتيجة خرج البحث بها، ثم ختمت بالتوصيات.

وأما المصادر والمراجع: فقمت بترتيبها ترتيبا أبجديا.

ولله الفضل والمنة، وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

التعريف بعنوان البحث

من مفردات البحث العلمى التعريف بعنوان البحث لتحديد المراد منه، والانطلاق نحو بنائه بناء علميا يحدِد المراد، ويخرج غير المراد ؛ لتظهر الوحدة الموضوعية بعيدة عن التشعب، والإطناب الممل لاسيما فى مثل هذه الموضوعات الفكرية المتعلقة بالشخصيات أمثال حسن حنفى موضوع الدراسة.

والتعريف بعنوان البحث (فكر حسن حنفى فى ميزان الإسلام) تظهر ملامحه عند التعريف بكلمتى (فكر، حسن حنفى) أما كلمة (ميزان الإسلام) فمن الشهرة بمكان مما لا يستدعى التعريف بها.

أولا: التعريف بكلمة(فكر)

١-التعريف اللغوى لكلمة فكر:

عند الاطلاع على كلمة(فكر) فى معاجم اللغة العربية نجد أمرين :

الأمر الأول: كلمة(فكر) تدور حول إعمال العقل، والنظر، والخاطر فى أمر ما للتوصل إلى نتيجة معينة؛ أو لمعرفة مجهول (فكّر في الأمر فكرا: أعمل العقل فيه ، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول، وفكّر في المشكلة : أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلها فهو مفكر، و الفكر: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة) ([1])

وعدم الفكر فى أمر ما يدل على اللامبالاة وعدم الحاجة فيه (مالي فيه فكر: أى حاجة .)([2])

[1] – لسان العرب لابن منظور – تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون –مادة الراء– جزء ٥ ص٣٤٥١ – بتصرف يسير – دار المعارف– القاهرة بدون ، وينظر:المعجم الوسيط – تأليف/ إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار– باب الفاء– جزء ٢ص٦٩٨ بتصرف يسير _ تحقيق / مجمع اللغة العربية– دار الدعوة بدون.

[2] – ينظر:القاموس المحيط– محمد بن يعقوب الفيروز آبادي– فصل الغين –جزء ١ص٥٨٨ – بتصرف يسير – مؤسسة الرسالة– بيروت

الأمر الثانى: الأفصح فى نطق وكتابة كلمة (فكر) بفتح الفاء (فَكر) وليس بكسرها كما هو الشائع؛ يقول ابن منظور رحمه الله:(ومن العرب من يقول الفِكْرُ الفِكْرَة والفِكْرى على فِعْلى اسم وهي قليلة؛ قال الجوهري: التَّفَكُّر التأَمل والاسم الفِكْرُ والفِكْرَة والمصدر الفَكْر بالفتح قال يعقوب يقال ليس لي في هذا الأَمرِ فكْرٌ أَي ليس لي فيه حاجة قال والفتح فيه أَفصح من الكسر)([1])

٢- التعريف الاصطلاحى :

الفكر: يتفق التعريف الاصطلاحى مع التعريف اللغوى فى كون الفكر يدور حول إعمال العقل ، والنظر ، والاستنباط لمعرفة المجهول الممكن ، والتفكر فى ملكوت الله للوصول إلى حقيقة الإيمان به

يقول الإمام الجرجانى رحمه الله : الفكر ترتيب أمور معلومة لتؤدى إلى مجهول.([2])

فيطلق على الإنسان مفكرا إذا أعمل عقله فى أمر ما ، ودقق النظر فيه ، ورتَب المقدمات ليصل إلى النتائج، وهذا ما أثبته القرآن الكريم فى وصف الذين يتدبرون فى خلق السماوات والأرض،

قال تعالى:(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ • الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)([3])

والفكرة : هى الصورة الذهنية التى تتولد فى العقل عن شيء ما. جاء فى معجم المصطلحات العربية:(الفكرة idea... الصورة الذهنية المستمدة من العالم الخارجى)([1])

---

[1] - ينظر:لسان العرب لابن منظور - تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون -مادة الراء- جزء ٥ ص٣٤٥١ - بتصرف يسير - دار المعارف- القاهرة

[2] - التعريفات - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) - جزء: ١- باب الفاء ص١٦٨- دار الكتب العلمية بيروت -لبنان- الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

[3] -سورة آل عمران الآيتان١٩٠،١٩١

وإعمال العقل إن كان فى إطار الضوابط الشرعية كان الفكر مستقيما ومقبولا، وإن كان من غير ضابط أو حاكم كان الفكر معوجا ممقوتا؛ وأطلق عليه الفكر الحر؛ وهو الذى يبتعد عن المفهوم الدينى لتفسير الحياة ، ويعتمد على العقل والتجربة .

(الفكر الحر**free thout**: هو النزعة فى التفكير التى تبتعد عن المفهوم الدينى لتفسير العالم، ووضع قواعد الأخلاق فى الحياة مع الالتزام أصلا بردِ القواعد والأخلاق إلى ما يمليه العقل والتجارب)([2])

مما سبق يتبين أن:

١- اتفاق التعريف اللغوى والاصطلاحى فى أن فكر حسن حنفى يقصد به : النظر الفكرى ، والتصور العقلى الذى قام به؛ وأخرج من خلاله مشرعه الفكرى والثقافى.

٢- التعريف اللغوى والاصطلاحى بيَنا معنى (الفكر) عموما ؛ لكن ضوابطه، وحدوده ، ومحاوره ،والحكم عليه بالصحة والفساد- لاسيما ما يتعلق ببحثنا- فبينانه فى لب البحث بمشيئته تعالى.

ثانيا : التعريف بالدكتور حسن حنفى

١- إطلالة على أهم ملامح حياته:

(الدكتور حسن حنفي من أعمال حى الشرابية محافظة القاهرة، ولد عام ١٩٣٥م ، وحصل على ليسانس الفلسفة عام ١٩٥٦م ثم شق تعليمه الجامعي إلى أن حصل على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون عام ١٩٦٦م ثمَ عين أستاذاً لتدريس الفلسفة في جامعة القاهرة .

حصل على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية عام ٢٠٠٩م

تدرجه الوظيفى :

---

[1] - معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب - مجدى وهبة و كامل المهندس - حرف الفاء- صـ٢٧٦ - مكتبة لبنان ط٢١٩٨٤م

[2] - المرجع السابق حرف الفاء صـ٢٧٦

مدرس فلسفة بكلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٦٧ م– ١٩٧٣م

أستاذ مساعد فلسفة بكلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٧٣ م–١٩٨٠م

أستاذ الفلسفة بكلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٨١م– ١٩٩٥م

ثم أصبح أستاذا متفرغا بكلية الآداب – جامعة القاهرة عام ١٩٩٥م .

المناصب التى تقلدها :

تقلد د.حنفى عدة مناصب أهمها :

– رأس قسم الفلسفة بكلية الآداب – جامعة القاهرة من عام ١٩٨٨م إلى ١٩٩٤م

– عمل مستشاراً علمياً في جامعة الأمم المتحدة بطوكيو خلال الفترة من (١٩٨٥م– ١٩٨٧م)

– عمل نائب رئيس الجمعية الفلسفية العربية، والسكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية ، وقد نوقشت فى جامعات مصر – والعالم – أكثر من خمس عشرة رسالة ماجستير و دكتوراة حول فكر الدكتور حسن حنفى وإسهاماته العلمية)([1]).

٢– د. حسن حنفى فى حال الهزائم والانتصارات :

يصف د. حسن حنفى نفسه بأنه سجين الهزائم والانتصارات ؛ويعلل ذلك بأن عمره الممتد إلى ما فوق السبعين كان شاهدا على العصر بهزائمه وانتصاراته، وأفراحه وأتراحه ؛ يقول د. حنفى (أول هزيمة شهدتها هزيمة ١٩٤٨م التى ضاع فيها نصف فلسطين وكان عمرى ثلاثة عشر عاما وركبت القطار ووصلت إلى غزة لأقاتل مع المجاهدين؛ ولكنهم ردُونى لأننى لم أنتم إلى حزب من الأحزاب المشهورة وقتئذ؛ مثل مصر الفتاة ،الشبان المسلمين، الإخوان المسلمين؛ فحزنت كثيرا لضياع القضية الفلسطينية نتيجة هذه التقسيمات الحزبية.

والهزيمة الثانية التى شهدتها هزيمة ١٩٦٧م والتى ضاع فيها نصف فلسطين الآخر؛ وكان الأمر صعبا على لأننى أتيت من فرنسا لأقيم مشروعى الفكرى فكانت الهزيمة أمامى ؛

---

[1] – يراجع : موسوعة أعلام الفكر العربى الحديث والمعاصر – د/أيوب أبو دية وآخرون –صـ١٩٠ – دار السفير الأردن٢٠٠٨م

وأصعب هزيمة أراها الآن هزيمة الإرادة ، وتضاءل دور مصر الأقليمى، وتقوقعها حول نفسها)([1])

وبعد ذكر الهزائم أخذ يشرع فى بيان الانتصارات:

يقول د.حنفى: (لقد عايشت زمن الانتصارات؛ فعايشت انتصار ١٩٧٣م ، وتأميم قناة السويس١٩٥٦م ،والوحدة مع سوريا ١٩٥٨م ، والقوانين الاشتراكية١٩٦٣م ،وحرب الاستنزاف١٩٦٨م

-١٩٦٩م

ويستطرد حنفى قائلا:

لقد تأثرت بالهزائم والانتصارات ، وأثرت فيهما ؛لأن مهمتى تقوم على تفهم شؤون الحياة،والسير بها إلى الطريق الصحيح، فأنا مفكر وطني أنظر إلى الفلسفة على أنها فهم لواقع الحياة مثل نيشته ([2])الذى انقلب فى فهمه لنظرية (العلم)التى تعنى المعرفة إلى مفهوم المقاومة عندما احتل نابليون ألمانيا وكانت أبرز كلمات فيشته : "أنا أقاوم إذا أنا موجود")([1])

[1] – فيديو: حلقة برنامج العاشرة مساء – قناة دريم ٢ في يوتيوب– مفكرون يبحثون عن إجابة لسؤال النهضة: د.حسن حنفي: الطريق إلى نهضة عربية يبدأ من الجماهير: ٢٠٠ عام من التجريب والمحاولات الفاشلة للدخول إلي عصر النهضة، إسلام أون لاين، ٣١ ديسمبر ٢٠٠٧م

[2] –فريدريك فيلهيلم نيتشه (بالألمانية: **Friedrich Nietzsche**) (١٥ أكتوبر ١٨٤٤م – ٢٥ أغسطس ١٩٠٠م) فيلسوف وشاعر ألماني. كان من أبرز الممهّدين لعلم النفس ، وكان عالم لغويات متميزاً. كتب نصوصاً وكتباً نقدية حول المبادئ الأخلاقية، والنفعية، والفلسفة المعاصرة المادية منها والمثالية الألمانية. وكتب عن الرومانسية الألمانية والحداثة أيضاً. يُعدّ من بين الفلاسفة الأكثر شيوعاً وتداولاً بين القراء ولد نيتشه عام ١٨٤٤ لقس بروتستانتى وكان العديد من أجداده من جهتي الأب والأم ينتمون للكنيسة، سماه والده فريدريك لأنه ولد في نفس اليوم الذي ولد فيه فريدريك الكبير ملك بروسيا، حيث كان والده مربياً للعديد من أبناء الأسرة الملكية وعاش حياة مدرسية عادية ومنضبطة، وسماه أصدقاؤه القسيس الصغير لقدرته على تلاوة الإنجيل بصوت مؤثر. رأى في المسيحية انحطاطاً وأن النمط الأخلاقي الصائب هو النمط الإغريقي الذي كان يمجد القوة والفن ،ويستخف بالرقة والنعومة وطيبة القلب التي رآها

والدكتور حسن حنفى بهذا الكلام شاهد على العصر، عايش مراحله الفكرية المختلفة ؛ مكّنه من ذلك طول عمره الذى تجاوز السبعين؛ ولكن يبقى لبُ المسألـة :

كيف كان تأثره وتأثيره فى هذا العصر؟ هل كان إيجابيا؟ أم سلبيـا؟

إن الإجابة على ذلك بعون الله ومشيئته فى ثنايا البحث؛ حتى لا نصدِر حكما قبل القراءة والتحليل؛ وهذا مخالف لمقتضيات البحث العلمى المجرد.

٣- نتاجه العلمى :

يكمن نتاج حسن حنفى العلمى فيما يلى :

أولا – مؤلفاته :([٢])

١- "سلسلة التراث والتجديد" "موقفنا من التراث القديم ؛ وهى عبارة عن خمسة مجلدات بعنوان: من العقيدة إلى الثورة ،وقامت بإصدارها مكتبة مدبولى عام١٩٨٨م

من صفات المسيحية ، وعندما شارف على الموت أوصى أخته قائلاً: إذا متّ لا تجعلي أحد القساوسة يتلو عليّ بعض الترهات في لحظة لا أستطيع فيها الدفاع عن نفسي ،من أشهر كتبه "هكذا تكلم زرادشت" الذي مزج فيه شعراً قوياً وحساساً مع مبادئ فلسفية مبتكرة وواقعية؛ وكتب بعدها العديد من الكتب ولكنها كلها كانت تقريباً تعليقاً على هذا الكتاب الذي كان يعتبره أنجيله الشخصي ، فضل نيتشه الشعب الألماني على كل شعوب أوروبا ،واعتبر أن الثقافة الفرنسية هي أرقى وأفضل الثقافات، بينما يتمتع الإيطاليون بالجمال والعنف، والروس بالمقدرة والجبروت، وأحط الشعوب الأوروبية برأيه هي الإنكليز حيث أثارت الديموقراطية الإنكليزية واتساع الحريات الشخصية والانفتاح الأخلاقي اشمئزازه، واعتبرها دلائل افتقار للبطولة. من أشهر أقواله:عش فى حرب دائمة، لاتنس أن تنكر العقائد والأديان جميعها. ينظر:(الموسوعة الغزالية فى الجوانب الفلسفية – نيشته فيلسوف القوة–ا.د.محمد حسينى الغزالى ص١٣–٣٠دار الكتب العامة الزقازيق– ط١٤٢٩١هـ٢٠٠٨م

[١] –فيديو: حلقة برنامج العاشرة مساء – قناة دريم ٢ في يوتيوب– مصدر سابق.

[٢] – هموم الفكر والوطن –التراث والعصر والحداثة – د.حسن حنفى صـ – ٧١٣مكتبة دار قباء للطباعة والنشر عبده غريب عام٢٠٠٣م

٢- "فيشته فيلسوف المقاومة" وقام بإصدارها المجلس الأعلى للثقافة للطباعة والنشر عام ١٩٩٧م

٣- الدين والثقافة والسياسة فى الوطن العربى وقامت بإصداره مكتبة دار قباء عام١٩٩٨م

٤- جمال الدين الأفغانى وقامت بإصداره مكتبة دار قباء للطباعة والنشر عبده غريب ضمن مهرجان القراءة للجميع – مكتبة الأسرة – عام١٩٩٩م

٥- سلسلة "من النقل إلى الابداع" وهى عبارة عن تسعة مجلدات وقامت بإصدارها مكتبة دار قباء للطباعة والنشر عام٢٠٠١م

٦- هموم الفكر والوطن –التراث والعصر والحداثة ، وقامت بإصداره مكتبة دار قباء عام٢٠٠٣م

٧- من مانهاتن إلى بغداد" وقامت بإصداره مكتبة الشروق الدولية عام٢٠٠٤م

٨- مقدمة فى علم الاستغراب – الدار الفنية القاهرة ١٩٩١م

٩-حوار المشرق والمغرب – توبقال- الدار البيضاء ١٩٩٠م

١٠- اليسار الإسلامى ،كتابات فى النهضة الإسلامية ، العدد الأول – المركز العربى للبحث والنشر القاهرة ١٩٨١م.

ثانيا- تحقيقه وتقديمه وتعليقه:

١- أبو الحسن البصرى:المعتمد فى أصول الفقه ،جزءان- المعهد الفرنسى بدمشق ١٩٦٣-١٩٦٥م

٢- الحكومة الإسلامية للإمام الخمينى – القاهرة ١٩٧٩م

٣- جهاد النفس أو الجهاد الأكبر للإمام الخمينى – القاهرة١٩٨٠م

ثالثا- ترجمته وتقديمه وتعليقه:

١-اسبينوزا :رسالة في اللاهوت والسياسة- الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣م

٢- لسنج : تربية الجنس البشرى وأعمال أخرى - الطبعة الأولى -دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧٧م

٣- جان باول سارتر: تعالى الأنا موجود - الطبعة الأولى -دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧٧م

الفصل الأول

(أصول فكر حسن حنفى فى ميزان الإسلام)

ويتكون من مدخل توضيحى و أربعة مباحث:

المدخل التوضيحى: المنابع والروافد التى أثرت فى فكر الدكتور حنفى

المبحث الأول : أنسنة الدين

المبحث الثانى : تقديم العقل على النقل

المبحث الثالث: التفسير التاريخى للدين

المبحث الرابع : العلمانية

مدخل توضيحى:

المنابع والروافد التى أثرت فى فكر الدكتور حنفى

تأتى تصورات الإنسان الفكرية نتيجة طبيعية لما يؤمن به ويعتقده ، فإن كان الإيمان راسخا، والاعتقاد سامقا خرجت التصورات صحيحة فى العقيدة ، والشريعة ، والأخلاق ؛ وإن كان الإيمان فاسدا ، والاعتقاد زائفا خرجت التصورات مشوهة تفسد أكثر مما تصلح ، وتهدم أكثر مما تبنى؛ قال تعالى: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ)([1])

وتأتى أهمية التركيز على المنابع والروافد التى استقى منها حنفى فكره ؛ فى أنها تشكل الأصول الفكرية التى انطلق منها حنفى فى تصوره عن الدين، الكون، فالمنابع والروافد أشبه بجذور الشجرة التى يتفرع عنها السوق والثمار.

ومن خلال الاستقراء الناقص لمشروع حنفى الفكرى نجد أن أشهر المنابع والروافد التى تأثر بها هى:

أ- الرافد الفلسفى الغربى

شكلت الفلسفة الغربية أحد المنابع الأساسية التى استقى منها د. حنفى كثيرا من أفكاره وتصوراته؛ وأصبح كثير من الفلاسفة الغربيين مصدرا فكريا ينهل منه؛ ومن أهم الروافد الفلسفية التى تأثر بها:

١- الرافد السبينوزى([2]) القائم على إخضاع الكتب المقدسة لعلم النقد التاريخي مثل أى كتاب معرفى ، والتحقيق فى صحته ونسبته، ومعرفة مدى صلاحيته للحياة من عدمه؛

---

[1] - سورة الرعد آية ١٧

[2] - سبينوزا : باروخ سبينوزا (بالهولندية: **Baruch Spinoza**) هو فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن السابع عشر، ولد سبينوزا في عام ١٦٣٢م في أمستردام بهولندا، لعائلة برتغالية من أصل يهودي تنتمي إلى طائفة المارنيين، وكان والده تاجرا ناجحا ومتعصبا للدين اليهودي، ولكن طبيعة سبينوزا الناقدة والمتعطّشة للمعرفة وضعته في صراع مع المجتمع اليهودي. درس العبرية والتلمود ، وفي آخر دراسته كتب

فانسلخ هذا الرافد السبينوزى على فكر حنفى تجاه القرآن الكريم كتاب الوحى الأول فأراد أن يطبق عليه منهج النقد التاريخي للكتاب المقدس! الذى وضعه سبينوزا، حيث يقول: " يُعتبر علم النقد التاريخى للكتب المقدسة أحد المناهج العلمية التي وضعتها الفلسفة الحديثة، كما يُعتبر من أهم مكاسب الحضارة الأوربية بالنسبة لدراسة التوراة والإنجيل نتيجة عن تأليه العقل في القرن السابع عشر– قرن سبينوزا– وإخضاع الطبيعة له... ولا فرق بين الظاهرة الطبيعية والنص الديني كلاهما يخضع للعقل وقواعده"[١]

واسبينوزا يرى أن (النقد التاريخي للكتاب المقدس سابق على الإيمان بالمصدر الإلهي للكتاب، وهو الضامن لصحته من حيث هو وثيقة تاريخية تحتوي على الوحي الإلهي، وتحتاج إلى تحقيق تاريخي مضبوط، وبالتالي يعارض سبينوزا وجهة النظر التقليدية المحافظة التي تؤمن بألوهية الكتاب قبل تطبيق قواعد المنهج التاريخي عليه)[٢].

وإيمان حسن حنفي بهذا الرافد السبينوزى جعله لا يؤمن أصلًا بأن الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه من الزيادة أو النقصان، بل واعتبر ذلك نوعًا من الغلو والتشدد، وهروبًا من النقد، حيث يقول: " يُغالي البعض وأكثرهم من اللاهوتيين المحافظين ويدعون أن الله قد حفظ كتابه من التغيير والتبديل وأن العناية الإلهية هي الحافظة للنصوص، ومن ثم فلا داعي هناك لتطبيق قواعد المنهج التاريخي على النصوص الدينية، وإقامة نقد تاريخي للكتب

تعليقا على التلمود فنُبذ من أهله ومن الجالية اليهودية في أمستردام بسبب ادّعائه أن الله يكمن في الطبيعة والكون، وأن النصوص الدينية هي عبارة عن استعارات ومجازات غايتها أن تعرّف بطبيعة اللهّ، ومن أشهر كتبه(رسالة في اللاهوت والسياسة سنة ١٦٧٠م)، (الأخلاق سنة ١٦٧٧م) توفّي سبينوزا فى لاهاى ١٦٧٧ م . ينظر:(الأعلام من الفلاسفة–باروخ سيبنوزا فيلسوف المنطق الجديد–الشيخ كامل محمد محمد عويضة ص٤٧وما بعدها دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤١٣هـ–١٩٩٣م

(١) اسبينوزا :رسالة في اللاهوت والسياسة– ترجمة د.حسن حنفى – ص١٨– ط١ الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣م

(٢) ينظر: المرجع السابق ص٢١.

المقدسة﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1]

وهي نظرية لاهوتية صرفة، تهرب من النقد، وتلجأ للسلطة الإلهية"[2]؛ فحسن حنفى يسير على خطى سبينوزا[3]؛ لأنه يعتبر رسالة سبينوزا دراسة لمصير الوحى في التاريخ[4].

والعجيب أن هذا الكتاب الذي أُولع به- حسن حنفي- وبمؤلِفه الذي عبَّر فيه عن رأيه في الدين، اعتبره بعض أصدقاء سبينوزا مخالفًا لعقائدهم اليهودية، لما فيه من إلحاد!، ونصحوه بعدم نشره، فجاء حسن حنفي وتبرع بترجمته ونقله إلى العربية!

٢- الرافد الهوسرلى(٥): تأثر حنفى بهذا الرافد الفلسفى الذى يرى أن الوحى ينشأ في الشعور؛ سواء كان في شعور الملَك أو شعور النبى ﷺ؛ ويتكيف حسب خيال الأنبياء وقدراتهم؛

يقول حنفى : " ويتكيف الوحي حسب خيال الأنبياء وقدراتهم كما تكيف بعد ذلك حسب معتقدات الحواريين والدعاة وأساليبهم في نشر الدعوة"(٦).

ونتيجة لهذا التكيف وهذه القدرات فقد جاء الوحي مختلفًا من نبي لآخر، فالنبي الفرح يُوحى إليه بحوادث سعيدة، والحزين تؤيده آيات حزينة، حيث يقول: " يختلف

---

[1] -سورة الحجر آية ٩

(٢) ينظر: رسالة في اللاهوت والسياسة ص٢٢،٢١- حاشية رقم ٢.

(٣) ينظر: رسالة في اللاهوت والسياسة ص١٧.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص١٢.

[5] -هوسرل أدموند:فيلسوف ألمانى ولد فى عام١٨٥٩م من أبوين يهوديين ثم تنصر وأصبح لوثريا عام ١٨٨٧م،نشر فلسفة الحساب التى حلل فيها مسائل الاختراع واستخدم الرموز العددية، وقيل إنه أنقذ الفلسفة من هاجس انتحار حقيقى ، وطرده النازيون عام ١٩٣٣م من الجامعة بسبب أصله اليهودى وفى عام ١٩٣٦م صدر مؤلفه الأخير(أزمة العلم الأوربى والفينو مينو لوجيا المتعالية)وترك هوسرل نصوصا كثيرة غير منشورة بلغ حجمها زهاء ثلاثين ألف صفحة مضروبة على الآلة الكاتبة وتوفى عام ١٩٣٨م(معجم الفلاسفة- جورج طرابيشى-حرف الهاء ص٧١٣،٧١٢دار الطليعة بيروت ط٣سنة٢٠٠٦م

(٦) رسالة في اللاهوت والسياسة (ص٤٨).

الأنبياء فيما بينهم حسب خيالهم وطبعهم ومعتقداتهم وآرائهم، فالنبي الفرح تُوحى إليه الحقائق بحوادث سعيدة، والنبي الحزين تؤيده آيات حزينة. والنبي ذو الخيال المرهف تُوحى إليه الأشياء بصور ناعمة رقيقة، والنبي الريفي يُوحى إليه بصور ريفية، والنبي الجندي يُوحى إليه بصور عسكرية، والنبي رجل البلاط يُوحى إليه بصور ملكية. ويختلف الأنبياء فيما بينهم حسب معتقداتهم في السحر والتنجيم، فتوحى إليهم الموضوعات السحرية كما أوحيت للمجوس ولادة المسيح، ومن يؤمنون بالكهانة والعرافة يُوحى إليهم في أمعاء الضحايا، ومن يؤمنون بحرية الاختيار يُوحى إليهم بأن الله لا يتدخل في أفعال البشر"(١).

وما دام الأمر كله قائم على قوة التخييل والقدرات فإن الأنبياء قد جهلوا كثيرًا من الحقائق، كلًا حسب قدراته وقوة تخيله، يقول: " الأنبياء جهلوا كثيرًا من الحقائق، واستعملوا أسلوب التخييل، للتأثير على النفوس... لم يكن للأنبياء فكر أكمل، بل خيال أخصب"(٢). وهذا نفس ما قاله سبينوزا (٣).

وترتب على هذا الرافد تأكيد حنفى على (أنسنة الدين)، واعتبار العقل، والتجربة أساس كل تدليل.

٣- الرافد الفويرباخي (٤): تأثر حنفى بهذا الرافد الفلسفى الذى يرى (أن الإنسان هو القادر على فعل أى شىء ،وفهم أى شىء ، ويدور حوله كل شىء ؛ وأى خروج عن ذلك هو

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة (ص٤٨).

(٢) المرجع السابق ص٤٣-٤٨. وينظر: ص٥٠،٥١.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص١٦٨.

(٣) لودفيغ أندرياس فيورباخ فيلسوف ألماني ولد في ٢٨ يوليو ١٨٠٤ م في مدينة لاندسهوت بولاية بافاريا الألمانية وتوفي في رايخنبرغ في ١٣ سبتمبر ١٨٧٢م في البداية كان تلميذاً لهيغل ثم أصبح من أبرز معارضيه ،وينتمى للمدرسة الفلسفية التقليدية.(معجم الفلاسفة–حرف الفاء ص٤٩٣،٤٩٢مرجع سابق.

اغتراب عن النفس التى لابد من الرجوع إليها؛ وتناسى أى سلطة خارجة عنها ، وهو ما يعرف بفكرة الاغتراب([1])

وحنفى يتفق مع فلسفة فيورباخ في "الاغتراب الديني"؛ حيث يقول:(فالله ذات وصفات وأفعال ليس هو السلطان كامل الأوصاف ، بل هو الإنسان ذاته الموجود المتعالى ،المتفرد المتوحد،الذى له حق العلم والسمع والبصر والكلام، الذى يقدر على الفعل، ويريد ما يقصد، وهو الحى الذى يدافع عن حقوقه قبل أن يقوم بواجباته . فالإنسان هو العالم القادر الحى ، السميع البصير المتكلم المريد بالحقيقة والله كذلك بالمجاز قياسا للغائب على الشاهد. والقرآن مقرؤ بالصوت ، متلو باللسان ، محفوظ فى الذاكرة ، مفهوم بالعقل ، مدون بالحرف،منزل فى زمان ومكان وبالتالى فهو حادث، يقدر الإنسان على إعادة انتاجه بصوته وفهمه وذاكرته وعقله).([2])

فالإنسان عند حنفى أصبح قادرا على كل شيء، مستغنيا عن كل شيء، يملك القدرة على تفسير كل شيء؛ فلا حاجة للغيبيات التى تخرجه من مكانته ، ومركزه فى الكون.

يقول حنفى فى شهادة سيدنا محمد رسول الله : (تعنى "محمد رسول الله"الإعلان عن نهاية النبوة، وأنَ الإسلام خاتم الرسالات وأن الإنسان أصبح مستقلا عقلا وإرادة ، يميز بين

---

[1] –الاغتراب مصطلح يفيد:الضياع وهو عند هيجل أن يضيع الإنسان شخصيته الأولى ويصير إنسانا آخر أغنى من الأول ، وعند ماركس أن يفقد الإنسان حريته واستقلاله الذاتى بتأثير الأسباب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية ويصبح ملكا لغيره أو عبدا للأشياء المادية فتتصرف السلطة الحاكمة فيه تصرفها فى السلع التجارية. – المعجم الفلسفى د.جميل صليبا –باب الضاد ج١ ص٧٦٥دار الكتاب اللبنانى ط١٩٨٢١م

[2] –هموم الفكر والوطن التراث والعصر والحداثة – د. حسن حنفى ج١ ص٣٦٣– دار قباء للطباعة والنشر ط١ – ٢٠٠٣م

الحسن والقبيح بالعقل ،ويختار الحسن دون القبيح بإرادته الحرة ، والإنسان قادر بنفسه على السير فى العالم والكدح فيه وتعمير الأرض، وتشيد البنيان واستعمار الكون) ([1])

وتأثر حنفى بهذا الرافد الفكرى جعله ينظر إلى الدين الإسلامى على أنه دين إنسانى بشرى تنتفى عنه العصمة وقداسة الوحى فيما يعرف(بأنسنة الدين) وهذا ما سيتضح فيما يستقبل إن شاء الله.

ب- الرافـد المـاركسى

لقد تأثر الدكتور حسن حنفى بالرافد الماركسي الذى" يرى أن أصل الكون، والإنسان، والحياة هي المادة؛ ولا إله، والعامل المتحكم في سير التاريخ هو العامل الاقتصادي ؛ أي وسائل الإنتاج؛ فهي التى تصنع صورة العلاقات الاجتماعية، والفكرية، والأخلاقية؛ وغيرها ...، فالتاريخ البشري عملية صراع حسب تغير وسائل الإنتاج وتطورها ؛ فالبشرية بدأت بالشيوعية، ثم البدائية، ثم نظام الطبقات القديم ، ثم الإقطاع، ثم الرأسمالية ،ثم الشيوعية حيث ينعدم نظام الطبقات، وينتهي الصراع، وتتحقق السعادة لجميع البشر."([2])

فالدكتور حنفى يتفق مع التفسير الماركسى للتاريخ ؛ في أن العامل المتحكم في سير التاريخ هو العامل الاقتصادي؛ وان الآلة والماكينة هي التي تستحق الإشادة والتقدير؛ لذا نجد نقده اللاذع للتصوف الإسلامي الذي يدعو لمقامات الزهد والورع والخشية والتقلل من الدنيا، والارتباط بالآخرة ،... الخ ، ويعتبر ذلك من علامات التخلف الحضاري، بل ويدعو إلى تصوف جديد يهتم بقضايا العمال، وعوامل الاقتصاد، ورفعة شأن الآلة ، وحقوق العمال، والمساواة الاجتماعية.

ويعتبر الدكتور حنفي أن تفسير التاريخ بذلك أفضى إلى التقدم في أوربا، وسيفضى

---

[1] -الدين والثقافة والسياسة فى الوطن العربى -د. حسن حنفى - ص٣٥٣- دار قباء للطباعة والنشر ط١ - ١٩٩٨م

[2] -الحداثة فى ميزان الإسلام - د.محمد على طرخان-ج١ص٤٢٧-كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة-٢٠٠٧م

للتقدم في الإسلام إذا قرئ التاريخ بنفس القراءة الغربية" [١].

ولقد تجنىّ د.حنفي على التصوف الإسلامي بكلامه هذا؛ لأن مقامات التصوف لا تعني الانسلاخ عن العمل وتركه؛ بل تدعو للإخلاص في العمل، ومراقبة الله، وخوفه، وخشيته ؛ مما يزيد من الانتاج ، ويكثر من الخيرات .

وننبه د. حنفي وهو عالم فلسفة يزعم الإنصاف والتجرد، والاعتماد على العقل في تقرير الأشياء إلى أن وجود الكسل والخمول عند بعض أدعياء التصوف ؛ لا يعني ذلك أن نحكم على التصوف كعلم، وسلوك، وتربية؛ أنه دعوة للكسل والخمول !! فالعقل والمنطق يقتضيان أن يعرف الحق بالحق ولا يعرف الحق بالرجال؛ فالتصوف أساس يحكم على أتباعه، ولا يحكم عليه بسلوك أتباعه؛ إنها لقسمة ضيزى تجردت من العدل، والإنصاف .

و هذا الرافد الماركسي جعله يتعامل مع القران الكريم كتاب الوحى الأول على أنه وثيقة تاريخية كأي وثيقة بشرية، يجب أن يُتحقق من صحتها في التاريخ. وإذا تم له هذا الأمر أخذ في تأويلها كي يتوافق مع متطلبات الواقع وحاجات العصر.

ج- المنـزع الاعتـزالى

يؤمن الدكتور حنفى بمبادئ المعتزلة([٢])، ويراها المنقذ من الضلال، والجهل،والتعصب، والتشدد؛ ويزعم أن الإيمان بها هو روح التقدم والحداثة؛ وهو جُل دعوة اليسار التي يدعو إلى الإيمان بها .

([١]) جاء ذلك في لقاء تلفزيوني على قناة C B C مع أ/ عادل حمودة، في يوم ١٥/ ١٢/ ٢٠١٢م .

[٢] - (والمعتزلة طائفة من الناس يعتمدون في الاستدلال على عقائدهم بالقضايا العقلية، ولايحد ثقتهم بالعقل إلا احترامهم لأوامر الشرع ؛ ولذلك حكموا العقل في كل شيء، وحاولوا الوصول عن طريقه إلى كل شيء؛ وكان هذا المسلك أثراً لنشأتهم في بيئة مليئة بعقائد مختلفة ونحل متباينة؛ يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها وأهم مبادئهم المتعلقة بهذا الجانب :١ . قولهم بالحسن والقبيح العقليين؛ فالعقل عندهم يدرك حسن الأشياء وقبحها، ويدرك حكم الله في الحسن بطلب فعله، وفي القبيح بطلب تركه وبنوا آراءهم في العقائد على هذا المبدأ ،٢ . طريق وجوب المعرفة العقل لا الشرع .) الفرق- حسن السيد متولي، ص ٦، ٧، دار الطباعة المحمدية،، ط/١، سنة ١٣٩٢هـ. ١٩٧٢م بتصرف يسير.

ويرى حنفى أن المعتزلة أهل الحق لأنهم :

١- يعتمدون على العقل الذى لا يختلف عليه اثنان ولا يحدث الشقاق والشرور" يقول حنفى :(لا يكاد يتفق اثنان على معنى واحد للنص في حين أن استعمال العقل أو اللجوء إلى الواقع يمكن أن يؤدي إلى اتفاق"[(١)] ، وهذه الدعوى تكذبها الإجماعات الكثيرة المذكورة والمبثوثة في كتب الفقه وغيره، كاتفاق المسلمين على أركان الإسلام، والمحرمات ، وغير ذلك...

٢- الجماعة الوحيدة اتى تستخدم سلاح العقل فى التغيير والتنوير؛ فالمجتمع المسلم فيه جماعات كثيرة معارضة تختلف طرق علاجها وتناولها للمواقف؛ وكلها مجانبة للصواب إلا المعتزلة؛ لاعتمادها فى التغيير على القوة الحقيقية وهى العقل؛ يقول: (فرقة المعارضة العلنية فى الداخل،وهى المعارضة المستمرة التى تبغى الدخول فى الصراع العقلى أولا فهى مقدمة للصراع الفعلى وشرطه، تعتمد على العقل والحوار،وعلى استعمال الحجج والبراهين. تقوم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر علنا بالحق مستوفية شروطه كأصل من أصول الدين،ولا تستعمل إلا سلاح العقل من أجل تنوير الناس وتثوير الجماهير)([٢])

٢- المعتزلة فرقة الحق والعدل بخلاف غيرهم فهم شيوخ السلطان:

يفتخر الدكتور حسن حنفي بأنه اعتزالي المعتقد؛ ويصف الفقهاء والمحدثين بأنهم شيوخ السلطان؛ يسيرون وراء السلطة ويقتفون أثر الملوك والسلاطين، و يكفرون المعتزلة لأنهم يدعون إلى الثورة وعدم الرضا بالدونية، والانطلاق نحو تقدير الذات ؛ وهذا ما لا يقبله الفقهاء والمحدثون والأشاعرة لانغماسهم فى نعيم السلطان؛ (ففي لقاءٍ تلفزيونى معه(٢) سئل: لِمَ تتّبع فكر المعتزلة مع تكفير العلماء لهم؟

---

(١) من العقيدة إلى الثورة (٣٧٥/١).

[٢] – من العقيدة إلى الثورة ج٥ ص٤٩٩،٥٠٠ بتصرف يسير

فأجاب: إن الذين كفروهم هم علماء السلطة والسلطان فقط؛ وكلامهم هذا لا قيمة له، لأنهم يزعمون أنهم أصحاب الحق المطلق والحقيقة المطلقة؛مع أن المعتزلة هم أهل الإيمان والعدل والتوحيد؛ وكلام مشايخ السلطة عنهم لا صواب فيه) [١] .

ولست أدري هل ما خلا المعتزلة من العلماء هم شيوخ السلطان! هل لم يشذ واحدٌ منهم عن دائرة النفاق والرياء والكذب فيقل كلمة حقٍ واحدة ترضي الله سبحانه وتعالى! وهل العقل يؤمن بأن المجموع لا يخرج منه واحدٌ يخالفه! مع أن الاختلاف سنة كونية يتفق على ذلك المعتزلة وغيرهم!

إن التاريخ يكذب كلام الرجل؛ والأمثلة أكثر من أن تحصى من وقوف العلماء من غير المعتزلة أمام السلاطين الجائرين؛ وصدعهم بكلمة الحق؛ وخير مثال ذلك ما حدث في فتنة خلق القرآن الكريم ؛ (فلقد أصابت الفتنة الإمام أحمد بن حنبل ﷺ ضُربَ وأُصِرَ، وأما الأستاذ محمد بن نوح فقد مات مكبلاً بالحديد في طريقه إلى المأمون وغير ذلك الكثير من العلماء) [٢] .

إن حسن حنفى تأثر بالفكر الاعتزالى تأثرا ملك عليه قلبه ، وشعوره ، وفكره، وخالطه مخالطة اللحم بالدم؛ فأصبحت المعتزلة لديه هى أهل السنة والجماعة، والفرقة الناجية، وأهل النور والعقل والحق، وما عداهم ففرق الظلام، والجهل،والتواكل، ومداهنة السلطان؛ وهذا ما ظهر أثره فى مشروعه الفكرى؛ تأصيلا، وتقعيدا، واستنباطا.

خلاصة التمهيد: مماسبق تبين لنا مدى تأثر حسن حنفى بالروافد والمنابع الفكرية المتعددة ؛ فلقد تأثر بالرافد الفلسفى الغربى وسلك مسلك سيبينوزا([٣]) وفيورباخ([٤]) ونيشته([١]) ،

([١]) لقاء تلفزيوني على قناة دريم(٢) . برنامج العاشرة مساءً مع المذيعة منى الشاذلي عام ٢٠١١م، وتم تحميله على شبكة المعلومات الدولية بتاريخ ٩/ ٥/ ٢٠١١م .

([٢]) مذكرة الفرق، ص ٩ بتصرف يسير.

[٣] – سبق التعريف به ص ١٧

[٤] – سبق التعريف به ص ٢٠

وظهر ذلك فى آرائه، وأفكاره؛ ودعوته للاقتداء بهم واقتفاء أثرهم؛ وتبين لنا كذلك مدى تأثر حنفى بالفكر الاعتزالى الذى دفعه للدعوة لكتابة التراث الإسلامى من جديد بناء على ما آمن به من أفكار، وتأثر حنفى كذلك بفكر ماركس والاشتراكية لاسيما وأنه عايشها واقعا ملموسا فى فترة الستينيات، وظهر ذلك الأثر فى تصوراته ودعوته؛... وهذه الروافد والمنابع الفكرية مجتمعة أفرزت لدى حنفى أصولا وتصورات فكرية انطلق من خلالها فى نظرته للدين؛ فالأصول الفكرية بمثابة سوق الشجرة التى يتفرع عنها الغصون والثمار. وتأتى مباحث هذا الفصل لتبين أصول حسن حنفى الفكرية التى انطلق منها فى تصوره عن الدين

[1] – سبق التعريف به ص١١

المبحث الأول : أنسنة الـدين

المطلب الأول : مفهوم (أنسنة الدين) :

إن المنابع الفكرية التى شرب منها حسن حنفي شكلت لديه الأصول الفكرية التى انطلق منها، وصدر عنها، وأهم هذه الأصول والركائز "أنسنة الدين"

و"أنسنة الدين" تعنى: قصر سبل المعرفة على العقل والتجريب وحدهما، وإلغاء كل ما يجاوز الحس والمشاهدة ، وتأويل وتفسير كل ما له علاقة بالدين، والغيب، والألوهية، والنبوة ، والوحي، على أنه إفراز بشرى؛ يقول حنفى: ".. الوحي بمجرد نزوله يصبح علمًا إنسانيًّا، ويتحول بمجرد قراءته وفهمه إلى علوم إنسانية"[(١)].

وبناء على فكر حسن حنفى فإن على حضارتنا، وتراثنا، ومنهجيتنا أن تدير ظهرها لله ، وتتمركز حول الإنسان؛ فالوحي موضوع مادى قد يتغير من كونه مادة لاهوتية إلى مادة اجتماعية، ومن علاقات غيبية إلى علاقات مرئية ؛ يقول حنفى:(الوحي مجموعة مواقف إنسانية نموذجية تتكرر في كل زمان ومكان)([٢])

وهذا الأصل الفكرى الذى انطلق منه حنفى فى مشروعه الفكرى جعله يفرغ الدين من محتواه، ويعطى الثوابت ، والمقدسات مضامين ومفاهيم إنسانية أرضية؛ وأبلغ مثال على ذلك تصوره عن الألوهية؛ فقد وصل الأمر فى أنسنته الدين أن اعتبر الله سبحانه وتعالى الخالق،الرازق،المحيى،المميت مجرد شعور باطنى يتبلور إلى الحالة الوجدانية التى يعايشها الإنسان ويتمناها، يقول حنفى: (يمكن أن يكون الله هو الأرض ؛ حرصا منا على تحرير الأرض ، وربطها بالألوهية ،ويمكن أن يكون الله هو الخبز، والحرية،تعبيرا عن حاجتنا إلى

(١) من العقيدة إلى الثورة (١/٢٦٢).

[٢] – من العقيدة إلى الثورة– د.حسن حنفى – ج١– ص٨٦،٨٧–مكتبة مدبولى – بدون

الغذاء والأمان)([1]) وهو بذلك سلك مسلك فويرباخ فى فكرة الاغتراب التى تعنى (أن الإنسان هو القادر على فعل أى شيء ، وفهم أى شيء، ويدور حوله كل شيء؛ وأى خروج عن ذلك هو اغتراب عن النفس التى لابد من الرجوع إليها؛ وتناسى أى سلطة خارجة عنها)([2])

ولقد طبق حسن حنفي فكرة الاغتراب على الدين كله بما في ذلك وجود الله، وصفاته، والنبوة، واليوم الآخر،حيث يقول:"ومن ثم يجعل علم الكلام موقف الإنسان في العالم موقفًا مغتربًا؛لأنه يتصور أن أمور الدنيا إنما تتحدد بأفعال ذات مشخصة من خارج العالم وليس بأوضاع العالم الفعلية"(٣).

المطلب الثانى : طرق حسن حنفى للوصول إلى (أنسنة الدين) والرد عليها :

إمعانا فى أنسنة الدين وجَه حسن حنفى مزاعمه إلى المصدر الأول للوحى ؛ ووصفه بعدة صفات تفقده قداسته، وهيمنته، وثباته ،وشموله، ومرجعيته؛ وتحوله إلى وثيقة تاريخية تخضع لقواعد النقد التاريخى؛ وتحول الدين إلى ظواهر اجتماعية، وتاريخية ، ونفسية، تتشكل بأشكال متعددة ومتنوعة، ولا تثبت على طريقة واحدة؛ فما يصلح فى الماضى لا يصلح الآن، وما يصلح الآن لا يصلح فى المستقبل، وهكذا دواليك..، ويتحول الدين إلى مسخ بشرى مشوه؛ تنتفى عنه الصبغة الإلهية، (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ)([4])

وأهم هذه المزاعم التى زعمها حول المصدر الأول للوحى:

أ- خضوع الوحى للفكر البشرى:

---

[1] – هموم الفكر والوطن التراث والعصر والحداثة – د. حسن حنفى ج١ ص٣٨١- دار قباء للطباعة والنشر ط١ – ٢٠٠٣م

[2] – المعجم الفلسفى د.جميل صليبا –باب الضاد ج١ ص٧٦٥ بتصرف يسير – دار الكتاب اللبنانى ط١٩٨٢م

(٣) من العقيدة إلى الثورة (٨٦/١).

[4] –سورة البقرة آية ١٣٨

يرى حنفى أن الوحى لا قداسة فيه؛ لقدرة الإنسان على الإبداع الخالص، والإتيان بما يفيده من غير احتياج إلى وحى ؛ يقول حنفى: " لا يوجد فرق بين كلام الله وكلام البشر بعد أن تجسَّد فيهم"[١].

بل إن الإنسان عند حنفى يستطيع أن يقول مثل كلام الله، يقول: " قل أنت: قال الله في كتابه الكريم: يا شباب الحجارة ويا أطفال الحجارة استمروا... ويكون كلامك صحيحًا... أي أنك عبرت عن الواقع بصياغة لو كان الوحى هنا لعبر عن الواقع نفسه ربما بصياغة بلاغية أجمل"[٢].

وبالتالي فليس هناك عنده فرق بين الوحى وبين كلام البشر؛ يقول: "كلام البشر هو الشرارة والوحي هو النار... وقد يأتي كلام البشر تمامًا مثل كلام الله إبداعًا فنيًا أصيلًا من الإنسان وكأن الوحي قد تحول فيه إلى إبداع خالص"[٣].

ويقول حنفى: "... وذلك لأن الوحي بمجرد نزوله يصبح علمًا إنسانيًّا، ويتحول بمجرد قراءته وفهمه إلى علوم إنسانية"[٤].

فحنفى بذلك يعتبر الوحى علما إنسانيا؛ وليس وحيًا ربانيًّا له صفة القداسة، والعظمة، والترفع عن مشابهة قول البشر.

الرد على ما زعمه حنفى من خضوع الوحى للفكر البشرى:

إن ما زعمه حنفى من تداخل كلام الله مع كلام البشر هو محض افتراء للاختلاف الجوهرى بين كلام المخلوق وكلام الخالق ؛ وأدع الإمام الباقلانى –رحمه الله – يرد على حنفى فى ادعائه هذا؛ مبينا الفروق الجوهرية والعلمية بين كلام الله و كلام البشر، ومظهرا وجه الإعجاز فى كلام الله ليظهر خطأ حنفى فيما ادعاه.

---

(١) هموم الفكر والوطن التراث والعصر والحداثة ص٢٢٠.

(٢) المرجع السابق ص٢٣٦. وينظر: ص٢٢٢.

(٣) هموم الفكر والوطن ج١/٢٣، ٢٤

(٤) من العقيدة إلى الثورة (٢٦٢/١).

يقول الإمام الباقلانى([1]) رحمه الله : (ذكر أصحابنا وغيرهم ثلاثة أوجه من الإعجاز :

أحدها : يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه.

فمن ذلك: ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله عز وجل: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)([2]) ففعل ذلك

والوجه الثاني: أنه كان معلوما من حال النبي أنه كان أميا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ ، وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين، وأقاصيصهم، وأنبائهم، وسيرهم ، ثم أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه؛ فذكر في الكتاب الذي جاء به معجزة له؛ قصة آدم عليه السلام ، وابتداء خلقه ، وما صار أمره إليه من الخروج من الجنة ، ثم جملا من أمر ولده، وأحواله، وتوبته، ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وما كان بينه وبين قومه ، وما انتهى إليه أمرهم، وكذلك أمر إبراهيم عليه السلام إلى ذكر سائر الأنبياء المذكورين في القرآن، والملوك، والفراعنة الذين كانوا في أيام الأنبياء صلوات الله عليهم؛

ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم، وإذ كان معروفا أنه لم يكن ملابسا لأهل الآثار ،وحملة الأخبار، ولا مترددا إلى التعلم منهم ، ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه؛ علم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي ولذلك قال الله عز وجل : (وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)([3])

وقد بينا أن من كان يختلف إلى تعلم علم، ويشتغل بملابسة أهل صنعة لم يخف على الناس أمره ، ولم يشتبه عندهم مذهبه وقد كان يعرف من يحسن هذا العلم وإن كان نادرا،

---

[1] –الباقلانى :قاض ومتكلم أشعرى ولد فى البصرة ٣٣٨هوأقام فى بغداد وتوفى فيها٤٠٣هـ له فى علم الكلام كتاب التمهيد ،وإعجاز القران وفيه يعارض المعتزلة فى خلق القران ويدافع عن إعجازه مبنى ومعنى(معجم الفلاسفة – حرف الباء–صـ١٤٥ مرجع سابق.

[2] – التوبة: ٣٣

[3] – سورة الأنعام آية:(١٠٥)

وكذلك كان يعرف فيهم من يختلف إليه للتعلم وليس يخفي في العرف عالم كل صنعة ومتعلمها فلو كان منهم لم يخف أمره.

والوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه)([١])

وبعد هذا القول من الإمام الباقلانى رحمه الله فى بيان بعض صور إعجاز القرآن الكريم، وتنزهه عن مماثلة قول البشر؛ يصبح من التجنى العلمى القول بتداخل كلام الله مع كلام البشر.

فهل يا فضيلة الدكتور قولنا:(يا شباب مصر اتحدوا) يشبه قوله تعالى:(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)؟!

إن التشابه، والتداخل، والتماثل ممتنع ؛ بل هو ضرب من الاستحالة؛ لانتفاء التشابه بين كلام الله وكلام البشر فى الصياغة، والأسلوب، والتركيب، والمعنى،..إلخ

إن تشبيه كلام الله بكلام البشر كتشبيه الثرى بالثريا، وما قاله حنفى اليوم يشبَه ما قاله الوليد بن المغيرة أمس عندما سمع النبي ﷺ يتلو شيئا من القرآن فقال: " إن هذا إلا قول البشر.

فعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ (الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ) جَاءَ إلى النبي (ﷺ) فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، وَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ (أَبَا جَهْلٍ) ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَمِّ إِنَّ قَوْمَكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. لِيُعْطُوكَهُ، فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا تَتَعَرَّضُ لِمَا قِبَلَهُ. فَقَالَ: قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكِرٌ لَهُ وَكَارِهٌ. قَالَ: وماذا أقول؟ فو اللَّه مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزِهَا وَبِقَصِيدِهَا مِنِّي، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لِمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَى. قَالَ: لَا يَرْضَى عَنْكَ قَوْمُكَ حَتَّى تَقُولَ فِيهِ. قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أُفَكِّرَ فِيهِ، فَقَالَ: هَذَا سِحْرٌ يُؤْثَرُ يَأْثُرُهُ عَنْ غَيْرِهِ ؛ فَنَزَلَتْ:(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا. وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ.كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا. سَأُرْهِقُهُ

[١] –إعجاز القرآن–أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني– ص٣١–تحقيق السيد أحمد صقر– دار المعارف مصر–ط١٩٩٧م

صَعُودًا. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ.ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ.ثُمَّ نَظَرَ.ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ.إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ) ([1]) ([2])

ب- خضوع الوحى للواقع:

النص عند حنفى جاء لمرحلة تاريخية معينة ؛ بينما الواقع هو المعايشة الحقيقية للحياة؛ فلابد من الاحتكام إليه؛ لأن التاريخ مرحلة انتهت؛ بينما الواقع مرحلة مستمر؛ يقول حنفي: (أسبقية الواقع على الفكر، وأولوية الحادثة على الآية، المجتمع أولاً والوحى ثانياً، الناس أولاً والقرآن ثانياً)[3].

ويستدل حنفى على زعمه هذا بأسباب النزول؛ حيث ادعى أن الآية ما كانت تنزل إلا لسبب؛ فإذا لم يكن هناك سبب فلا نزول؛ فالواقعة هى التى تفرض نزول الوحى ؛ فالوحى تابع للواقع ؛ وليس الواقع بتابع للوحى؛ يقول حنفى: (ما نزلت آية إلا بسبب، وما جاءت إجابة إلا لسؤال، يقول تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)([4]) فالسؤال يطرح؛ والإجابة تتلوه؛ فالإجابة كانت للواقع فقط)[5] ويقول حنفى: "البشر يتكلمون والله يسمع ويستجيب، الناس يتحدثون والله يرد.. كلام الله إذن استجابة لكلام البشر.. فالوحى والواقع صنوان على مستوى الصياغة اللغوية، وعلى مستوى الاهتمامات الفعلية"[6]؛ ويقول : (الواقع له أولوية على كل نص).([1])

---

[1] – سورة المدثر الآيات من١١– ٢٥

[2] –أسباب نزول القرآن– أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى : ٤٦٨هـ)– ج ١ص٤٦٨ تحقيق كمال بسيوني زغلول– دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ ،وقال المحقق: صححه الحاكم ووافقه الذهبي على شرط البخاري

([3]) الوحي والواقع دراسة في أسباب النزول في الإسلام والحداثة، ندوة مواقف، ص ١٣٦ .

[4] – سورة البقرة: ٢٢٢

([5]) حسن حنفي، لقاء قناة CB C، تخريج سابق .

(٦) هموم الفكر والوطن (٢٣/١).

وحنفى بهذا الزعم يوحى بأن الوحى متبدل ومتغير، والواقع هو الذى يحكمه، وأى محاولة لتثبيت الوحى هى محاولة من اللاهوتيين للجمود والتعصب، فالواقع يتغير ولابد أن يحكمه متبدل ومتغير؛ فلا مانع إذن من اختراع أحكام وشرائع تناسب الواقع ؛ لأن الوحى ظاهرة تاريخية، وشعورية تسير وراء الواقع ولا يسير الواقع وراءها.

الرد على ما زعمه حنفى من خضوع الوحى للواقع:

إن هذا الزعم من حنفى يشير إلى عدم معرفته بأسباب النزول؛ وأن معرفته ماهى إلا أفكار متضاربة ومتناقضة لا تمت إلى الحقيقة العلمية بصلة، فلم يقل أحد من علماء القرآن الكريم بقوله بل قرروا أن القرآن الكريم (قسمان: قسم نزل من الله ابتداء غير مرتبط بسبب من الأسباب الخاصة إنما هو لمحض هداية الخلق إلى الحق، وهو كثير ظاهر لا يحتاج إلى بحث ولا بيان، وقسم نزل مرتبطا بسبب من الأسباب الخاصة.)([2])

فمعظم آيات القرآن الكريم نزلت ابتداء؛ أي بدون سبب نزول خاص أو معين؛ مثل الجانب الاعتقادى؛ بل إن كثيرا من الآيات نزلت فهدمت الواقع القائم وعفت على آثاره، وأقامت على أنقاضه بناء شامخا يأوى إليه الإنسان فى جميع العصور، كما أن بعض الآيات جاءت لتأسيس معارف جديدة ليست مرتبطة بواقع معين؛ مثل حديثها عن مظاهر خلق الطبيعة، وتسخير السنن، وخلق الإنسان، وحياة الأنبياء، وتاريخ الأمم والحضارات.. ،وأما الآيات التى لها سبب نزول خاص لا تعدو أن تكون بعضا أو طرفا من آيات الأحكام، أو الجانب التشريعى في القرآن الكريم .

فهل يادكتور حنفى يمكن أن يقال في هذا : إن الواقع إذا اشتد اشتد الوحى، وإن تراخى تراخى الوحى! أو يقال: إن الواقع له أولوية على كل نص ؟!

---

[1] –التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم – د.حسن حنفى – ص١٠٤ – ط١المركز العربى للبحث والنشر القاهرة١٩٨٠م

[2] – لباب النقول في أسباب النزول – الإمام جلال الدين السيوطي– ج١ص٣– دار الكتب العلمية– بيروت – لبنان

وما فهمه حنفى فى أسباب النزول يجافى الحقيقة المقررة عند العلماء الثبت من أهل القرآن:

فقد اتفق علماء علوم القرآن على أن سبب النزول يراد به «ما نزلت الآية أو الآيات مبيّنة لحكمه أيام وقوعه»، وهذا هو المعبّر عنه «بالواقع» ؛ فسبب النزول هو المناسبة التي استدعت ظهور الحكم، ووضعه موضع التطبيق، أي بداية توقيت العمل به ... في نسق هدم أوضاع الجاهلية، وبناء أحكام الإسلام في النفس والمجتمع ... يوما بعد يوم، أو طيلة عصر التنزيل.

يقول الزرقانى رحمه الله: (سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أو سؤال وجه إليه فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة أو بجواب هذا السؤال)([1])

فالوحى بمعناه الشامل هو الذي صنع التاريخ وليس العكس؛ فالتاريخ واكب الوحى، ومشى في ركابه طيلة عصر التنزيل من أجل تصحيح وقائعه، أو تصويب حركة التطبيق والتنفيذ!

فكيف يقال بعد هذا: إن الواقع هو المتحكم في الوحى؛ إن اشتد اشتد، وإن تراخى تراخى!

إن هذا القول من حنفى منتزع من الثقافات الوضعية التى صنعت التاريخ وليس العكس، ومن العبث إذن التسوية بين القرآن والثقافات الوضعية.

وقول حنفى إن الوحى تابع للواقع يظهر بطلانه بشائر ووعود القرآن الكريم التى لا تكذب ولا تتغير:

مثال ذلك: ما نزل به القرآن الكريم في شأن أبى لهب: (سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ)([2]) فبقي أبو لهب على كفره فيما استقبل من فترة نزول القرآن حتى وافاه الأجل! وقد كان في وسعه سياسة أو نفاقا أن يقول إنه دخل في الإسلام؛ ولكن الوحى هو الذى أطلع

[1] – مناهل العرفان في علوم القرآن– محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى : ١٣٦٧هـ)– ج١ص١٠٦– مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – الطبعة الثالثة بدون .

[2] –سورة المسد آية٣

سيدنا محمد (ﷺ) بأنه سيبقى على كفره، وأنه سوف يرد النار يوم القيامة؛ فكيف يقال بعد ذلك إن الوحى تابع للواقع ؟!

ج –خضوع الوحى للشعور:

يرى حنفى أن الوحي ظاهرة شعورية خالصة يكتشف بها الإنسان المعاني في نفسه، يقول: " الكلام تجربة شعورية خالصة يكتشف بها الإنسان المعاني في نفسه بناء على أفعال الشعور من شك وظن واعتقاد ويقين واستفهام وتفكير وتدبر"[(١)].

ويقول:(ونصوص الوحي ذاتها نشأت في الشعور، إما في الشعور العام الشامل وهو ذات الله أو في الشعور المرسل إليه والمعلن فيه، وهو شعور الرسول أو شعور المتلقي للرسالة، وهو شعور الإنسان العادي الذي قد يشعر بأزمة فينادي على حل ثم يأتي الوحي مصدقًا لما طلب)[(٢)].

وبناء على ذلك فإن العبادات والشعائر مجرد طقوس أو ترانيم لا تعبر عن روح الوحى الذى يكمن فى كونه " مجموعة من البواعث التي تبعث على النشاط وتدفع إلى الحركة وليست مجموعة من العقائد الجاهزة للإيمان والتسليم بها"[(٣)].

الرد على زعم حنفى أن الوحى ظاهرة شعورية:

إن ما زعمه حنفى بأن الوحى ظاهرة شعورية كلام يجافى الحقيقة؛ لأن الوحى اشتمل على العقائد، والتشريعات،والمعاملات، وغلف ذلك بالأخلاق الفاضلة التى تحمى البناء الإيمانى من الخور،والفساد؛

ولنضرب على ذلك مثالا من القرآن الكريم يوضح اشتماله على جميع الأفعال التكليفية، وليس ظاهرة شعورية كما يزعم حنفى:

ففى العقائد ؛ يقول تعالى:(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ.اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [(٤)]

---

(١) من العقيدة إلى الثورة (٢/٤٧٣).

(٢) التراث والتجديد (١٣٥).

(٣) تربية الجنس البشري (ص١٢١).

[٤] – الإخلاص: ١ – ٤

– وفى الأخلاق؛ يقول تعالى : (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا • وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا • وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا • إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا • وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا • وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا • يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا • إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا • وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا • وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا • وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا •وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا • أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا • خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا • قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) ([١])

– وفى التشريعات؛ يقول تعالى:(سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) ([٢])

وسورة النور التى تحدثت عن الأحكام والحدود حديثا مستفيضا خير شاهد على ذلك؛ فتحويل الدين إلى علاقة روحية منفصلة عن السلوك والعمل لا تصح فى الإسلام؛ لتكامله وترابطه.

وأما ما يدندن به حنفى: " من أن تخلفنا يرجع إلى أننا حَولنا الوحي إلى مجرد عقائد وشعائر، نُكفّر من لم يؤمن بها أو يمارسها"([٣])؛ فيكشف زيفه الواقع العملى للرعيل الأول الذين ملأوا الدنيا علما ونورا، ووصلوا بنور الإسلام إلى بقاع شتى مترامية الأطراف؛ فى مدة وجيزة لا تساوى شيئا من أعمار الزمن .



---

[١] – الفرقان: ٦٣–٧٧

[٢] – النور: ١

(٣)هموم الفكر والوطن (٥٧/١).

المبحث الثانى : تقديم العقل على النقل

المطلب الأول: العقل والنقل عند حنفى:

من المحاور الفكرية التى انطلق منها حنفى تقديم العقل غير المعصوم على الوحى المعصوم؛ فالعقل عنده سلطة لا حدود لها ؛ فالعقل عنده يشرع ، ويصدر الأحكام؛ فشعار حنفى : "لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده"!

فالوحي عنده لا يُثبت شيئًا، بل هو في حاجة إلى إثبات، في حين لا يقف شيء غامض أمام العقل؛ يقول حنفى : " إن النص لا يثبت شيئًا بل هو في حاجة إلى إثبات، في حين لا يقف شيء غامض أمام العقل، فالعقل قادر على إثبات كل شيء أمامه أو نفيه"(١).

ويقدم حنفى العقل على الوحى المعصوم لزعمه أن الوحي مجرد افتراض بينما العقل يمثل الحقيقة؛ يقول: " أما الوحي بالنسبة لي، فإنني آخذه على سبيل الافتراض. أنا في رأيي؛ الوحي هو افتراض في البحث العلمي، يقوم بدور الافتراض في البحث العلمي. فهل يتحقق؟ والتحقق من الصدق. أقصد التحقق تجريبيًا صِرفًا وليس صوريًا، لا اتفاق نتائج مع مقدمات، ولكن التحقق من صحة هذا الفرض في الواقع الاجتماعي. ومن ثم فأهلًا وسهلًا، أنا أتقبل كل النبوات وكل الوحي وكل الآراء. وعليّ أن امتحنها على محك الواقع"(٢).

والعقل عند حنفى يستمد سلطته من مقاييس الصدق بخلاف الوحى يستمد سلطته من صدق القائل ؛ مما ينتج عنه خضوع الجميع لسطة الوحى التى تتسم بالتكبر ،والتجبر ،والتسلط والإذلال؛ فتكثر الحروب والمنازعات؛ يقول حنفى:(الخطاب الديني: سواء كان مقدسًا أو دنيويًّا، إلهيًّا أم إنسانيًّا، وحيًّا أم إلهامًا، نقلًا أم عقلًا، هو أكثر الخطابات عمومية؛ لأنه سلطوي، أمري، تسليمي، إذعاني، يُطالب بالإيمان بالغيب وبالعقائد، ويعتمد على التصوير الفني وإثارة الخيال، والحياة المستقبلية وما بها من وعود وخلاص من آلام البشر. قد يكون خطابًا عقائديًّا كما هو الحال في علم الكلام، أو باطنيًّا كما هو الحال في التصوف، أو تشريعيًّا كما هو الحال في الفقه وأصوله، يقدّسه الناس حتى ليصبح بديلًا عن المقدس ذاته، له أصول وفروع، وله قلب وأطراف، وبه حق وباطل، فرقة ناجية وفرق هالكة،

---

(١) من العقيدة إلى الثورة (٣٧٣/١).

(٢) الإسلام والحداثة (ص٢١٩، ٢٢٠).

يعتمد على سلطة النص أكثر من اعتماده على سلطة العقل. يعتبر نفسه حكمًا ومقياسًا لأنواع الخطابات الأخرى. يتوحد به الحكم بحيث يصبح الخطاب الديني والخطاب السياسي خطابًا واحدًا. تكثر المذابح والحروب، ويتم تكفير المخالفين باسمه. يدل على مرحلة تاريخية قديمة قاربت على الانتهاء، لأنه أقدم على أنواع الخطاب. يؤدي أحيانًا إلى الغرور والتعالي والتعصب ولا يقبل الحوار؛ لأنه خطاب أخلاقي يعتمد على سلطة القائل وإرادته. لا يحتاج إلى مقاييس للصدق إلا من صدق القائل"(١).

المطلب الثانى : الرد على حنفى فى هذا الأصل الفكرى (العقل و النقل) :

عند استقراء المشروع الفكرى لحسن حنفى استقراء ناقصا؛ نجد أن المزاعم التى زعمها حول العقل والنقل تظهر فيما يأتى:

١- افتعال معركة وهمية بين العقل والوحى :

يفتعل حنفى معركة وهمية بين العقل والوحى ثم تكون الغلبة فى النهاية للعقل لامتلاكه مقاييس الصدق؛ أما النقل فلا يعطى إلا افتراضات يقول حنفى : (إن النقل لا يُعطي إلا افتراضات يمكن التحقق من صدقها في العقل ومن صحتها في الواقع، كما يعطي حدوسًا يمكن البرهنة على صدقها بالعقل وعلى صحتها في التجارب اليومية ويكون المحك في النهاية العقل والواقع، العقل وحده وسيلة التخاطب، والواقع وحده هو القدر المشترك الذي يراه جميع الناس، فالاستدلال العقلي والإحصاء الاستقرائي دعامتا اليقين"(٢)، وحنفى هنا لم يفرق بين النقل الصحيح الذى يجب اتباعه وتقديمه من غيره؛ ولكنه النعق بفكر الغرب دون توضيح وتبيين.

والرد عليه يتجلى ببيان توافق نور الشرع، ونور العقل :

فالعقل فى الإسلام ملكة وغريزة، ونور وفهم، وبصيرة وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان، فهو ليس عضواً ولا حاسة من الحواس، فوجوده في الأذهان لا فى الأعيان، وهو المستوى

---

(١) تحليل الخطاب – مقال لحسن حنفي نُشر في مجلة قضايا إسلامية معاصرة– العدد (التاسع عشر)– ص٢٢٢.

(٢) من العقيدة إلى الثورة (٣٧٣/١).

الأعلى في الإدراك لما فوق الحواس؛ فالإسلام جعل العقل نوراً من أنوار الله، يزامل هذا الدين الحنيف، ويمثل بالنسبة له أداة الفهم، وقاعدة التأسيس ؛ وللتأكيد على هذه الحقيقة من حقائق تميز العقلانية الإسلامية، شاعت في مصادر التراث الإسلامي الصياغات الفكرية التي تقول: إن لله عز وجل فى خلقه رسولين أحدهما من الباطن وهو العقل ، والثاني من الظاهر وهو الرسول ؛ فالعقل قائد والدين مدد، ولولا العقل لم يكن الدين باقياً، ولولم يكن الدين لأصبح العقل حائراً؛ واجتماعهما نور على نور؛ فالنسق الفكرى والفلسفى فى حضارة الإسلام يقيم العقلانية على نور الشرع، ونور العقل، لتكون عقلانية مؤمنة متوازنة.

يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالى رحمه الله: (اعلم أن العقل لن يهتدى إلا بالشرع ،والشرع لم يتبين إلا بالعقل ، فالعقل كالأساس والشرع كالبناء، ولن يغنى أساس ما لم يكن بناء ،ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس ، وأيضا فالعقل كالسراج، والشرع كالزيت الذى يمده ؛ فما لم يكن زيت لم يحصل السراج، وما لم يكن سراج لم يضىء الزيت، فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل، وهما متعاونان بل متحدان)([1]) وأى تعارض يكون منشؤوه رأى كاسد أو عقل فاسد ؛ لأن الحقائق لا تتضارب.

٢- الإيهام باتباع السنة النبوية فى تفضيلها العقل:

يزعم حسن حنفى أنه يعتمد فى فكره هذا على السنة النبوية؛ ويأتى بقول ينسبه إلى سيد الخلق (ﷺ)وهو: إِنَّ اللَّه لَمَّا خَلَقَ الْعَقْلَ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَشْرَفَ مِنْكَ، فَبِكَ آخُذُ، وَبِكَ أُعْطِي) ثم يعقب بقوله: وأنا لم أقف على درجته.

[1] – معارج القدس فى مدارج معرفة النفس – حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالى – ص٤٦ – المكتبة التجارية الكبرى– بدون.

وإن المرء ليتعجب من الدكتور حسن حنفى! كيف بعد هذا العمر الطويل ؛ والمشاريع العلمية الكثيرة ؛ والتى تتخذ العقل أساسا لها لم يكلف نفسه فى معرفة حكم ذلك الحديث الذى يعتبر عمادا أصيلا ؛ ومحورا ركينا فى جميع مشاريعه العلمية !

وهذا الحديث الذى اعتمد عليه حنفى فى مشاريعه العلمية، حكم المحدثون عليه بالوضع والكذب ؛ كما ذكر ذلك الإمام السخاوى رحمه الله ، فلقد نقل إلينا عن المحدثين قولهم :(إنه كذب موضوع باتفاق ، وأخرجه داود بن المحبر في كتاب العقل له بزيادات مختلفة.. وابن المحبر كذاب.)([1]) وقال الصنعانى : إنه موضوع([2])

٣- تحسين العقل وتقبيحه :

يؤمن د. حنفى بأن العقل يحسن ويقبح، ويقبل ويرد؛ إيماناً منه بأن السلطة المطلقة للعقل وليست لغيره ؛ وأن الإنسان ليس فى حاجة إلى النبوة لاكتفائه بالعقل؛ يقول حنفى: (الإنسان سيد الكون، وأعظم من الجبال، والمحيطات، والأنهار؛ لأنه قادر على تسخيرها لصالحه، ولديه عقل قادر به على معرفة أسرار الكون، وإدراك قوانين الطبيعة، وهو الوحيد الكائن الحر الذى قبل تأدية الأمانة ، وتحقيق الرسالة ؟ لماذا الإعلان عن قصور العقل وبيان حدوده ؛ والأكرم للإنسان بيان قواه وإمكانياته اللامحدودة ؟ لماذا الإعلان عن أن الإنسان فى حاجة إلى هاد يهديه ويرشده؟ لم هذا الإحساس بالتقصير والقصور وأن الإنسان فى حاجة إلى وصِى وهو النبى؟ ولماذا تثبت النبوة على أنقاض العقل؟ إن إرجاع الحسن والقبح إلى الذات العاقل، ثم إيقاعه فى نسبية الأهواء، والانفعالات ذلك يفضى إلى إلغاء

---

[1] - (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة - شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (المتوفى : ٩٠٢هـ)- حرف الهمزة-ج ١ص١٩٩ -تحقيق : محمد عثمان الخشت- دار الكتاب العربي - بيروت
الطبعة : الأولى ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م)بتصرف يسير

[2] -الموضوعات الحسن بن محمد الصنعاني، ج:١ ص:٣٥ دار المأمون للتراث بدون

العقل ، والإغراق فى الإشراق أو يؤدى فى النهاية إلى هدم العقل لإفساح المجال للنبوة...وذلك فى الحقيقة تدمير للعقل من أجل إفساح المجال للنبوة)([1])

والرد عليه يكمن فى بيان تفاوت النظر للحسن والقبح:

فلا يختلف البشر حول الحقائق المادية في الطب، والزراعة، والكيمياء، والهندسة، فالجامعات والمدارس في البلاد المختلفة تدرس نفس الحقائق المادية وهى متفقة عليها، في حين أن الاختلافات الفكرية بين المتخصصين في العلوم الفكرية كبيرة ولا يوجد حولها اتفاق فكري عالمى أو حتى محلى، فهناك من يقول عن الرأسمالية أنها حق وصواب ، وهناك من يقول عنها أنها باطل وخطأ، وكذلك الأمر بالنسبة للإسلام، والشيوعية، والبوذية، والهندوسية، والنازية ،والعلمانية، والإلحاد ... الخ

فالعالم كان ولا زال مختلفاً أشد الخلاف فيما هو حقائق فكري ، بل لم يتفق البشر حتى يومنا هذا على صواب نظام اقتصادى أو اجتماعى، بل لم يتفقوا على تعريف واحد للحرية، أو العدل مع أننا نعيش فى القرن الواحد العشرين؛ ولدينا آلاف الجامعات والمفكرين ؛ يقول"د. ألكسيس كاريل : إن كلا من الملحد والروحاني يتفقان على تحليل قطعة صوديوم كلورايد (الملح) ، ولكن شتان بين رأييهما حول الذات الإنسانية"([2]) فما تراه بعض العقول حسناً تراه بعضها قبيحاً؛ لعدم وجود الحكم العقلى المطلق الذي تتفق عليه جميع العقول؛ فاللواط يراه بعض الأوربيين حسنا لوجود المتعة فيه ، بينما يراه البعض الآخر قبيحا وانتكاسة للفطرة.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن إذا آمنا بالسلطة المطلقة للعقل؛ دون وحي أو هدى؛ فأيهما نفّضل، وأيهما نتبع؟! مع العلم بأن اتباع أحدهما يعبر عن عدم احترام عقلية الآخر!!

المخرج إذن أن تستمد السلطة المحسّنة والمقبحة من عليم يدرك أين يكمن الحسن

---

[1] – من العقيدة إلى الثورة ج٣ص٤٤٣– مكتبة مدبولى بدون.

[2] – عجز العقل العلماني–عيد الدويهيس–ج١ ص٤– الكويت – الطبعة الأولى شوال ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠ م

والقبح، ومن أين يتأتى الخير والشر، هذا العليم هو الذي خلق النفس فسواها، وألهمها فجورها وتقواها؛ وهو الله سبحانه وتعالى (أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (١)

فالله سبحانه وتعالى يعلم ما يصلح الإنسان وما يفسده؛ لذا شرع القواعد والقوانين التي ترعى المصلحة وتعينه على تجنب الشر؛ فسلطة التحسين والتقبيح إذن للشرع وليست للعقل وحده وهذا مذهب أهل السنة والجماعة .

٤- ادعائه بأنه يدافع عن التنوير مثل سالفيه من المعتزلة:

إن المعتزلة الذين ينعق حنفى باتباعهم خالفوه في الدفاع عن الدين؛ فلقد دافعوا عن الدين الإسلامي بكل ما أوتوا من قوة؛ فلقد(دخل طوائف من المجوس، والصابئة، واليهود، والنصارى وغيرهم من كان يظهر الإسلام خشية السلطان ويبطن غيره، وأخذ ينشر بين المسلمين ما يفسد دينهم ويشككهم في عقائدهم، وقد ظهر أثر هذا في وجود فرق تحمل اسم الإسلام وهي معاول هدمه مثل المشبهة وغيرهم؛ فتصّدى للرد على أعداء الإسلام الظاهرين والمستورين جماعة المعتزلة واختصوا بالفضل الأول العظيم في الدفاع عن الإسلام؛ لأنهم قاوموا أصحاب العقائد الباطلة بالحجة والبرهان؛ فلا يستطيع أحدٌ أن ينكر فضل المعتزلة في الدفاع عن الإسلام والنيل من خصومه، وصد كل هجوم على عقائد المسلمين)(٢) .

فالدكتور حسن حنفي الذي يفتخر بالفكر الاعتزالى لم ينح نحوهم في الدفاع عن الإسلام، ومقاومة الفكر العلماني التغريبى ؛ بل أخذ يُقعّد، ويُمهّد، ويقنن لنشر هذا الفكر؛ ولكن بطريقة أخرى يضحك بها على كل غرٍّ؛ وهى الثورة على التراث الشعبي القديم -على حد وصفه ؛ لاستخراج تيار يسارى ، أوتغريبى، أو علمانى إسلامى كما يزعم .

فيا ليته نظر إلى الجانب الإيجابى في فكر المعتزلة، وسلك دربهم في الخوف على الدين والزوّد عنه؛ بدلاً من أن يأخذ منهم جزءاً يجعله تكأةً للانطلاق إلى ما يريد ؛ ويا ليته نظر إلى زعيمهم واصل بن عطاء، وتدّبر حياته، وأخذ منه الزهد، والورع ، والدفاع عن الدين، وتحذيره

---

(١) سورة الملك، الآية (١٤) .

(٢) ينظر: مذكرة الفرق، ص ٥، ٦ بتصرف يسير .

الناس من التعلق بالدنيا؛ (فلقد كان واصل بن عطاء رجلاً عالماً زاهداً مشغولاً بالوعظ والتعليم نهاراً وبالصلاة وقراءة القرآن ليلاً، وكان حريصاً على الدفاع عن دينه، ويرسل الدعاة إلى الأقطار يصححون للناس عقائدهم، ويجادلون أهل الباطل دفاعاً عن دينهم، وكان يحذر الناس من التعلق بالدنيا) [١] .

٥- حكمه بإيمان الفرق الضالة لزعمه اعتمادها على العقل:

يدعو حنفى في مشروعه العلمى إلى اعتبار فرق الدهرية، وكفرة المنجمين وأصناف الفلاسفة المنكرين للصانع من أهل الإيمان، ولا يجوز تكفيرهم؛ لأنهم اعتمدوا دليلاً يصح عقلاً لوجود العلة والمعلول؛ فالعقل هو أساس النقل وهو الفيصل في كل شيء.

ففى الدهرية: يقول حنفى: (ولكن لماذا تكفير الدهرية وهي تؤمن بوجود الله ولكنها فقط تتصور العالم قديماً بقدمه حتى لا تتصوره صانعاً وبناء على حجج عقلية تثبت قدم العالم وفي مقدمتها قدم العلم وقد كان العالم فكرة في الذهن الإلهي قبل خلقه بالإرادة أو الأمر؟) [٢] .

وعند مناقشة د. حنفى فى زعمه بإيمان الدهرية نجد أن الأمر على خلاف ما زعم :

١- فالدهرية :(أصل كل مذاهب الإلحاد والمادية التى عرفتها البشرية، فهى مذهب كل من اعتقد فى قدم الزمان، والمادة، والكون، وأنكر الألوهية، والخلق، والعناية، والبعث، والحساب) [٣]

٢- إنكار الألوهية والبعث والحساب عند الدهرية يأخذ صورا متعددة فمنهم من ينكر الخالق؛ فلا قدرة، ولا إرادة ، ولا بعث ولا حساب ولانشور؛ وما الدنيا إلا(أرحام

---

(١) مذكرة الفرق، ص ٩ .

(٢) من العقيدة إلى الثورة، ج ٥ ص ٤٨٧ .

٣ – موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر جـ١صـ٢٨٨ ط١/١٤٢٠هـ٢٠٠٠م

تدفع وأرض تبلع ومن مات فات وصار إلى الرفات ولا عود بعد الفوات)([1])، ومنهم (من يثبت الصانع وينكر البعث، ومنهم من يشك في البعث ولا يقطع بإنكاره)([2])، ومنهم من يرى (القيامة موت البدن، والثواب والعقاب ما هو إلا خيالات تقع للأرواح ؛ فشر هؤلاء أضر من شر جميع الكفار لأن هؤلاء يلبسون على الحق ويغتر بتلبيسهم الناس) ([3]) ومنهم من يؤمن (بعقيدة " تناسخ الأرواح" والتى ترى أن أرواح البشر تنتقل من جسد كائن حى (إنسان أو حيوان) إلى جسد كائن حى آخر بعد موت الأول، فتشقى هذه الروح أو تسعد حسب ما اكتسبه الإنسان الذى كانت حاله فى جسده إن خيرا فخير، وإن شراً فشر)([4])

فالدهرية على اختلاف أشكالها وألوانها تشترك فى إنكار الألوهية، والخلق، والعناية، والبعث، والحساب؛ فكيف بعد ذلك نحكم بإيمانها!

٣- لم تعتمد الدهرية دليلا عقليا -كما زعم حنفى- بل اعتمدت على الظنّ، والتخمين، ومجانبة العلم والحق ؛ وهذا ما قرَره القرآن الكريم فى قوله: (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ) ([5])، فليس لهم فيما زعموه من إنكارهم للبعث من علم مستند إلى نقل أو عقل ، إن هم إلا يظنون ظنا مبنيا على الوهم والضلال،.. وسمى – سبحانه – أقوالهم مع بطلانها حجة فى قوله تعالى:(وَإِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ ما كانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا ائْتُوا بِآبائِنا إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ)([6]) على سبيل التهكم بهم ، والاستهزاء بأقوالهم، قال صاحب الكشاف رحمه الله: (فإن قلت : لم سمى قولهم حجة وليس بحجة؟ قلت : لأنهم أدلوا به كما يدلى المحتج بحجته ، وساقوه

[1] -نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى- تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدى - جـ ٨ صـ٣٤٧- دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م

[2] - تفسير القرطبى جـ١٦صـ١٧٠بتصرف يسير

[3] -المرجع السابق جـ١٦صـ١٧٠بتصرف يسير

[4] - موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة- جـ١صـ٢٨٨ بتصرف يسير

([5]) سورة الجاثية، الآية (٢٤) .

[6] - سورة الجاثية، الآية (٢٥)

مساقها ، فسميت حجة على سبيل التهكم ، أو لأنه في حسبانهم وتقديرهم حجة، كأنه قيل : ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة . والمراد : نفي أن تكون لهم حجة البتة)([1]) فزعم حنفى إذن يناقض صريح القرآن الكريم وهو ما عليه التعويل .

وفى كفرة المنجمين: يدعو حنفى إلى عدم تكفيرهم باعتبارهم ينتقلون من الفكر الدينى إلى الفكر العلمى الذي يرجع في النهاية إلى العقل، يقول حنفى: (أما كفرة المنجمين فإنهم يقولون بقدم الأفلاك والكواكب، وبأن حركتها سبب وقوع الحوادث في العالم. يقول البعض منها بألوهية الشمس وعبادتها، والبعض الآخر بألوهية الشمس والقمر، الأول سلطان النهار والثاني سلطان الليل. ويقول فريق ثالث بعبادة الكواكب السبعة مدبرات العالم. ويفضل فريق رابع القول بقدم زحل وحده لأنه أعلاها. كلها فرق جعلت العالم العلوي بين الإلهيات والطبيعيات كخطوة انتقال من الفكر الديني إلى الفكر العلمي فهل تكفر وتستباح دماءها؛ ولماذا اعتبرت الصابئة وهم عبدة الكواكب مع أهل الكتاب يقبل منهم الجزية ويبقون عل عقائدهم؟) [٢]

وهذا كلام يرده تضافر آيات القرآن الكريم فى نفى الإيمان عنهم، فكيف ينفيه القران ونثبته نحن؟!

ألم يقرأ حنفى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وحواره مع عباد الكواكب والنجوم، واستدلاله العقلى والمنطقى لإخراجهم من غيهم إلى نور الإيمان؟!

قال تعالى:(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ • وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ • فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ • فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ • فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً

---

[1] – تفسير الكشاف جـ٤صـ٢٩٤

([2]) من العقيدة إلى الثورة، ج ٥ ص ٤٨٩، ٤٩٠ .

قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ • إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (١) .

فأى انتقال أيها الدكتور من الفكر الدينى إلى الفكر العلمى؟! إنها مجرد كلمات فضفاضة لا معنى لها ولا دليل عليها.

وفى الصابئة : يزعم حنفى بأن الشريعة الإسلامية اعتبرتهم مع أهل الكتاب يقبل منهم الجزية، ويبقون على عقائدهم؛ يقول حنفى:(ولماذا اعتبرت الصابئة وهم عبدة الكواكب مع أهل الكتاب يقبل منهم الجزية ويبقون عل عقائدهم؟) (٢)

ونرد عليه بالقول: إن هذا كلام مجتزأ لم يجر الأمر على حقيقته؛ فالأئمة الأربعة رضى الله عنهم منهم من اعتبرهم من المشركين مثل عباد الأصنام لا تحل نساؤهم ولا ذبائحهم، ومنهم من ألحقهم بأهل الكتاب ولكنه وضع قيدا احترازيا وهو أن لا تختلف أصول عقائدهم عن عقائد أهل الكتاب، وأن لا تكفرهم اليهود والنصارى، وأن ينتسبوا إلى كتاب؛ وعلى هذا القيد تدور الأحكام معهم؛ فإن ثبت أنهم يقولون إن الفلك حي ناطق، وإن الكواكب السبعة آلهة، فهم من المشركين باتفاق:

جاء فى فقه الحنفية:(وَالصَّابِئَةُ إنْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِدِينِ نَبِيٍّ وَيُقِرُّونَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ من أَهْلِ الْكِتَابِ وَإِنْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ وَلَا كِتَابَ لهم لم تَجُزْ مُنَاكَحَتُهُمْ لِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ ؛ وَالْخِلَافُ الْمَنْقُولُ فيه مَحْمُولٌ على اشْتِبَاهِ مَذْهَبِهِمْ فَكُلٌّ أَجَابَ على ما وَقَعَ عِنْدَهُ وَعَلَى هذا حَلَّ ذَبِيحَتُهُمْ ا هـ)(٣)

وجاء فى فقه المالكية :(وحرم الله سبحانه وتعالى على المسلم وطء الكوافر– جمع كافرة – ممن ليس من أهل الكتاب بملك أو نكاح لقوله تعالى: {وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ} قال الفاكهاني : الشرك يشمل المجوس والصابئة وهم قوم عدلوا عن اليهودية والنصرانية

---

(١) سورة الأنعام، الآيات (٧٤ . ٧٩) .

(٢) من العقيدة إلى الثورة، ج ٥ ص ٤٨٩، ٤٩٠ .

٣ – البحر الرائق شرح كنز الدقائق – زين الدين ابن نجيم الحنفي المتوفى ٩٧٠هـ– ج٣ص١١١– دار المعرفة– بيروت

وعبدوا الملائكة ويشمل عبدة الأوثان وغيرهم وهم من يعبدون غير الصنم فعبدة الأوثان من يعبدون الصنم وغيرهم من يعبدون الشمس والقمر)([1])

وجاء في فقه الشافعية: (وأما الصابئة والسامرة فتعقد لهم الجزية إن لم تكفرهم، اليهود والنصارى، ولم يخالفوهم في أصول دينهم وإلا فلا تعقد لهم ، وكذا تعقد لهم لو أشكل أمرهم، وتعقد لزاعم التمسك بصحف إبراهيم، وصحف شيث وهو ابن آدم لصلبه. وزبور داود، لان الله تعالى أنزل عليهم صحفا فقال:(صحف إبراهيم وموسى)([2]) وقال:(وإنه لفي زبر الاولين)([3]) وتسمى كتبا كما نص عليه الشافعي ؛ فاندرجت في قوله تعالى:(من الذين أوتوا الكتاب) ([4])؛ وأما من ليس لهم كتاب ولا شبهة كتاب كعبدة الاوثان، والشمس، والملائكة ومن في معناهم كمن يقول: إن الفلك حي ناطق وإن الكواكب السبعة آلهة فلا يقرون بالجزية.)([5])

وجاء في فقه الحنابلة: (وأما الصابئة فقال أحمد هم من جنس النصارى، وقال في موضع آخر بلغني أنهم يسبتون فألحقهم باليهود وفي "المغني" الصحيح أن من وافق اليهود والنصارى في أصل دينهم وخالفهم في فروعه فهو منهم ومن خالفهم في أصل دينهم فلا ، ومن سواهم من الكفار كالمتمسك بصحف إبراهيم وشيث، وزبور داود فليسوا بأهل كتاب على الصحيح ذكره ابن عقيل ؛ فلا تحل نساؤهم ولا ذبائحهم لقوله تعالى: (أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ)([6]) وقيل: هم أهل كتاب فتنعكس الأحكام.)([1])

---

[1] – الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني– صالح بن عبد السميع الآبي الأزهري (المتوفى : ١٣٣٥هـ)–ج١ ص٤٥١– المكتبة الثقافية – بيروت

[2] –سورة الأعلى آية رقم :١٩

[3] –سورة الشعراء آية رقم :١٩٦

[4] – سورة المائدة جزء من آية رقم :٥٧

[5]– الإقناع في حل ألفاظ أبى شجاع–المؤلف: موسى الحجاوي– ج٢ص٢٢٢،ويمظر كذلك : التنبيه في الفقه الشافعي – إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي أبو إسحاق المتوفى ٤٧٦ هـ– جزء ١– ص٢٣٧– تحقيق عماد الدين أحمد حيدر– عالم الكتب – بيروت –١٤٠٣هـ

[6] –سورة الأنعام: الآية١٥٦

وأما ما روى عن أبى حنيفة رضى الله عنه من أن الصابئة أهل كتاب ؛ فقد أجيب عنه بأن (الصابئة الذين يعرفون بهذا الاسم في هذا الوقت ليس فيهم أهل كتاب وانتحالهم في الأصل واحد ٠٠٠والذي يغلب على الظن في قول أبي حنيفة أنه شاهدَ قوماً منهم يظهرون أنهم نصارى تقيةً ، وهم الذين كانوا بناحية كسْكر([2]) ويسميهم النصارى يُوحنَّاسِيَّة وهم ينتمون إلى يحيى بن زكرياء ، وينتحلون كتباً يزعمون أنها التي أنزلها الله على شيث ويحيى . ومن كان اعتقاده من الصابئين على ما وصفنا فهم عبدة أوثان لا ينتمون إلى أحد من الأنبياء ولا ينتحلون شيئاً من كتب الله فلا خلاف بين الفقهاء في أنهم ليسوا أهل كتاب ، وأنه لا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم وأبو يوسف ومحمد قالا : إن الصابئين ليسوا أهل كتاب ولم يفصلوا بين الفريقين وكذا قول الأوزاعي ومالك بن أنس)([3])

المبحث الثالث : التفسير التاريخى للدين

المطب الأول : مفهوم التفسير التاريخى للدين:

يعد التفسير التاريخى من الأصول الفكرية التى انطلق منها حنفى فى تصوره عن الدين ، وشكلت لديه رؤية خاصة فى العقيدة ، والمعاملات ، والأخلاق .

و التفسير التاريخى للدين يعنى : (النظر إلى الدين الإسلامي على أنه تاريخ، أو جزء من تجربة أو خبرة بشرية؛ تسهل فيه عملية النقد والتجاوز المستمر؛ وتزال عنه القدسية؛ لأنه جزء من تجربة أو معرفة غير ملزمة للإنسان الذى يعتبر خلاقاً مغيراً أكثر منه وارثاً متبعاً،

---

[1] – المبدع شرح المقنع– إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى : ٨٨٤هـ) – ج٧ ص ٦٥– دار عالم الكتب، الرياض– ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م

[2] –كسكر: بالفتح ثم السكون بلد بين الكوفة والبصرة ، ومن مشهور نواحيها : المبارك ، وعبدسى ،وميسان ؛ ولما مصرت العرب الأمصار فرقتَها ، وكانت من أقوى البلاد بفارس ، وسميت بذلك نسبة إلى كسكر بن ظمهورث الملك الذى هو أصل الفرس ، وقيل معنى كسكر بلد الشعير بلغة أهل هراء (معجم البلدان للشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت الحموى الرومى البغدادى جـ٤ صـ٤٦١ بتصرف يسير –دار صادر بيروت بدون.

[3] – التحرير والتنوير . الشيخ محمد الطاهر بن عاشور– جزء ١ص٥٣٣–بتصرف يسير– دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م

فالوحي يتخلف بصورته التاريخية، والواقع يتقدم بصورته الواقعية ليكون حاكماً، ومقرراً، ومشرعاً؛ لأنه يوجد ثبات جوهري في النصّ) [١] .

ويترتب على التفسير التاريخى للدين :

١- حصر النصوص الدينية في الماضي وعدم إخراجها منه؛ لارتباطها زمانياً، واجتماعياً وثقافياً به.

٢- خضوع الدين لقواعد النقد التاريخى ، والنظر العقلى؛ لاعتباره وثيقة تاريخية مثل أى وثيقة.

٣- نفى صفة القداسة عن الدين ؛ لأنه يعبر عن تفاعل بشرى في مرحلة تاريخية معينة ، فى زمنٍ معين ، ومكانٍ معين ،وقوم مخصوصين.

٤- نفى صفة الفاعلية المستمرة للدين عبر الزمان والمكان؛ بزعم أن القرآن جاء ليخاطب قوماً في سياق تاريخى واجتماعى معين.

٥- تقديم الواقع على النص؛ لأن النص مرحلة تاريخية منصرمة؛ بينما قراءة الواقع هي المستمرة إلى يوم الدين ، ونحن فى حاجة إلى معايشة الواقع واستنطاقه بما يلائم أحوالنا.

٦- الخلط بين الوحي الإلهي المعصوم الذي يجب اتباعه والاقتداء به ، وبين التجربة البشرية المحضّة التي ينخلع عنها صفة القداسة والعصمة.

هذا هو التفسير التاريخى للدين عند حنفى بصورة مبسطة وبعيدة عن المصطلحات التي يقحمونها داخل كلامهم لتضليل العامة؛ وبث حالة من الهالة العملية لما يقدمونه من مشاريع يزعمونها تنويرية.

ولقد تأثر حنفى بمنهج النقد التاريخي للكتاب المقدس الذى وضعه سبينوزا([٢]) ، والقائم

([١]) قضايا التراث والتجديد وإشكالية النقل والإبداع، حوار مع حسن حنفي في: المنطلق (فكرية إسلامية)، لبنان، سنة ١٩٩٦م

[٢] – سبينوزا : سبق التعريف به صـ١٤

على إخضاع الكتب المقدسة لعلم النقد التاريخي مثل أى كتاب معرفى ، والتحقيق فى صحته ونسبته، ومعرفة مدى صلاحيته للحياة من عدمه ؛ فانسلخ هذا الرافد السبينوزى على فكر حنفى تجاه الدين فأراد أن يطبقه كما طبقه سبينوزا على قدر ما استطاع من التراث المسيحى، واليونانى، والرومانى، والإسلامى."[١].

فالتفسير التاريخى للدين يفرغه من محتواه ،ويجعله عملا بشريا لا قداسة له ولا مزية فيه،بل يفتح مجالا للتشكيك والدغل باسم التنظير العلمى ،والبحث التاريخى؛ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

المطلب الثانى : مناقشة حسن حنفى فى نظرية التفسير التاريخى للدين:

التاريخ وعاء للزمن ، يرصد قرب الإنسان من ربه وبعده عنه، ويرصد عاقبة ذلك من الخير والشر؛

فالزمن وما فيه ملك لله تعالى، يتصرف فيه كيف يشاء، ويفعل فيه ما يشاء؛ فالتاريخ لا ينفك عن إرادة الله تعالى: (ألا له الخلق والأمر)[٢]

وخضوع التاريخ للنظرة الإلهية أمرٌ مستقرٌ عند العقلاء من الناس، ولا يعني هذا الخضوع التخلف والرجعية، أوعدم استيعاب مفردات التقدم والتطور؛ كما يزعم حسن حنفى؛ فالتاريخ شاهد على تقدم الأمم وتخلفها، وارتباطها بالوحى وانفكاكها عنه؛ فلا يوجد في الإسلام مفهوم القرون المظلمة، ولا القرون البائدة، ولا الإنسان المتخلف الرجعى الذي يتطور بفعل المادة والحياة؛ فالإنسان هو الإنسان، والزمن هو الزمن؛ ولكن معيار الطاعة والالتزام، والفهم، والسعى الحثيث لتحقيق الخير هو الذي يتقدم أو يتراجع؛ لأن الوحى المعصوم لا يتغير ولا يتبدل؛ فولا يجوز أن نسحب المفهوم الغربي النابع من المادية، والإلحادية، والفرويدية، والماركسية، واليهودية، والنصرانية المحرفة؛ على مفهوم الإسلام النابع من مصدر ثابت يشمل الزمان، والمكان، والإنسان ؛ لذا من أكبر الأخطاء التي وقع فيها حنفى هو ذلك المقياس الفاسد الذى قاس به بين أمرين مختلفين زعمهما واحداً.

---

(١) ينظر: رسالة في اللاهوت والسياسة (ص٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٤) .

وفيما يلى مناقشة حنفى فى الجزيئات التاريخية ؛ حتى تتضح لنا الحقيقة:

١- التاريخية والقرون الأولى الفاضلة:

ينظر حنفى إلى حقبة النبى (ﷺ)، وصحابته الكرام رضى الله عنهم على أنها فترة تاريخية عادية خضعت لظروف معينة ، ولا دلالة فيها لتأس، أو انقياد، أو طاعة ، واعتبر الآثار التي تقدرِ حقبة النبى صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام رضى الله عنهم مجافية للحقيقة ؛ فالقرن الأول لا يمثل الصورة الناصعة للدين بقدر ما يمثل ماضياً وتاريخاً وزمناً انصرم وانقضى؛ وأي نص يأتي للإشادة به يناقض العقل والفكر الصحيح فيجب رده أو إلغاؤه، أو عرضه على منهج النقد التاريخي؛ أو في أحسن الأحوال إغضاء الطرف عنه، وهذا ما جعل حنفى ينكر وينتقد نقداً لاذعاً حديث سيدنا رسول الله ﷺ ﴿ خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ... ﴾ [1] .

وكان تعليله للرفض القاطع لهذا الحديث الشريف زعمه بأنه يتنافى مع مبادئ العدل والمساواة، فيقول: "ما ذنب حسن حنفي أن يأتي في قرن غير هذه القرون؛ إن هذا فيه ظلم وتعسف"([2])

وعند مناقشة حنفى في هذا الحديث الشريف؛ نجده قد فهمه على غير وجهه؛ فالنبى ﷺ لم يقصد ظلماً لفئة، ولا لحقبة تاريخية، بل يدعو إلى الزيادة في العمل؛ لنصل إلى ما وصل إليه

([1])عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه و سلم (خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) . قال عمران لا أدري أذكر النبي صلى الله عليه و سلم بعد قرنه قرنين أو ثلاثة قال النبي صلى الله عليه و سلم إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن) الجامع الصحيح المختصر– محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – تعليق د. مصطفى ديب البغا – كتاب الشهادات – باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد – ج٢ص٩٣٨–حديث رقم–٢٥٠٨– دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م

[2] – فيديو: حلقة برنامج العاشرة مساء – قناة دريم ٢ في يوتيوب– مفكرون يبحثون عن إجابة لسؤال النهضة: د.حسن حنفي: الطريق إلى نهضة عربية يبدأ من الجماهير: ٢٠٠ عام من التجريب والمحاولات الفاشلة للدخول إلي عصر النهضة، إسلام أون لاين، ٣١ ديسمبر ٢٠٠٧م

السابقون؛ فقوله ﷺ خير القرون قرنى: ليس على عمومه بدليل ما يجمع القرن من الفاضل والمفضول ، وقد جمع قرنه مع السابقين من المهاجرين والأنصار جماعة من المنافقين المظهرين للإيمان، وأهل الكبائر الذين أقام عليهم أو على بعضهم الحدود ؛(لذا لم ير سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنه الأفضلية فى الزمن ولكن فى مجموعة الصحب الكرام الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، وشهدوا بدرا ،والحديبية؛ فتقدير الكلام –والله أعلم – : خير الناس أصحابى من قرنى؛ فقوله ﷺ خير الناس قرنى: لفظ خرج على العموم ومعناه الخصوص؛ وشاهده قوله الله:(كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) ([1]) فقد قيل في قول الله: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} أنهم أمة سيدنا محمد (ﷺ) يعني الصالحين منهم، وأهل الفضل ؛ وهم شهداء على الناس يوم القيامة.

والصحب الكرام–القرن الأول–فضلوا على غيرهم لأنهم آمنوا حين كفر الناس، وصدقوا حين كذب الناس،وعزروا النبى (ﷺ)، ونصروه، وآووه، وواسوه بأموالهم وأنفسهم، ولأنهم كانوا غرباء في إيمانهم لكثرة الكفار، وصبرهم على أذاهم، وتمسكهم بدينهم.)([2])

فآخر هذه الأمة تزكو أعمالهم في زمن الفتن كما زكت أعمال أوائلهم؛ بشرط التمسك بالدين والصبر (وإن آخر هذه الأمة إذا أقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على طاعة ربهم في حين ظهور الشر والفسق، والهرج ، والمعاصى، والكبائر كانوا عند ذلك أيضا غرباء، وزكت أعمالهم في ذلك الزمن كما زكت أعمال أوائلهم؛ ومما يشهد لهذا قوله (ﷺ): "إن الإسلام بدا غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء)([3])

---

[1] – جزء من آية فى سورة آل عمران رقم (١١٠)

[2] – التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد– أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ)–ج ٢٠ص ٢٥٢،٢٥١تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى – مؤسسة قرطبة–بتصرف يسير .

[3] – المرجع السابق ص٢٥٢،٢٥١، والحديث فى صحيح مسلم –كتاب الإيمان–باب بَيَانِ أَنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ– جـ١ صـ٤٦٧ حديث رقم٣٨٩

فعلى هذا الرأى يمكن للدكتور حنفى أن تزكو أعماله كما زكت أعمال السابقين؛ إذا أقام الدين وتمسك به؛ وساعتها سيكون من الغرباء الفائزين، ويصبح مثل المطر الذى لا يدرى أوله خير أم آخره.

٢- التاريخية واجتهاد الأئمة الأربعة:

ينتقد حنفى الأئمة الأربعةﷺ ويعتبرهم مصدرِى الفقه التقليدى الشعبي القديم، ويرى أن التجديد الحقيقى يكون بتجاوز هذه المرحلة التاريخية البائدة؛ وإنشاء فقه جديد يلائم الواقع؛ يتجاوز الطهارة، والحيض، والصلاة، والزكاة؛ ويفتح أبوابا جديدة من الثورة، وحقوق العمال والموظفين، والعلاقات الدولية، وحق الجوار .. الخ)؛ لذا نجده يجيب على سؤال وجه إليه في أحد القنوات الفضائية عن سبب انتقاده للأئمة الأربعة ؟

فكانت إجابته: وهل هؤلاء رسل جدد؟!! هم مجتهدون في وقت معين انتهوا بانتهائه ؛ وهذا ما أكده الرسول ﷺ بقوله: ﴿ يبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدد للناس دينهم ﴾ [(١)]

والرد على ذلك : إن ما ادعاه حنفى بأن اجتهاد الأئمة الأربعة لا قيمة له لأنهم ليسوا برسل جدد ؛ هو محض افتراء على الأئمة الأربعة رضى الله عنهم؛ فالأئمة الأربعة لم يقل واحدٌ منهم إنه رسول جديد، أو يوحى إليه، وحاشاهم أن يقولوا ذلك وهم وقَافون عند حدود الله تعالى؛ ولكنهم رُزقوا أدوات الاجتهاد فاجتهدوا، ومنحوا نعمة العلم والفهم فاستنبطوا ، (فالمجتهد يكون من العلماء الممتازين، والفقهاء البارزين الذين وقفوا على جملة ما جاء فى المسألة التى هى موضوع الاجتهاد من القرآن والسنة ، وعرفوا المطلق والمقيد ، والمجمل والمفصل ،والناسخ والمنسوخ ،والمتقدم والمتأخر ، وأسباب النزول ، وعرفوا علوم اللغة

(١) لقاء تلفزيوني على قناة دريم، تخريج سابق ؛ ونص الحديث (عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) . مستدرك الحاكم على الصحيحين- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا- كتاب الفتن والملاحم -ج٤ص٥٦٧ - حديث رقم ٨٥٩٣ دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى ، ١٤١١ - ١٩٩٠

ومرامى ألفاظها ومعانيها ،وغير ذلك من أدوات الاجتهاد التى تبعد الخطأ فى أغلب الظن)([١]) ؛ فلم يزعم واحدٌ منهم يا دكتور حنفى أن اجتهاده وحى إلهى؛ لأن (اجتهاد المجتهدين ليس تشريعا للأحكام وإنشاء لما ليس موجودا منها؛ لكنه إظهار للحكم واستخراج له من النصوص عن طريق الفهم ، والمقارنة ، والقياس ،وتطبيق المبادىء العامة للشريعة وما تهدف إليه من رعاية المصالح ودرء المفاسد عن العباد)([٢]) ؛ لذا لم يبال الواحد منهم ظهور الحق على لسانه أو لسان غيره ؛ فأى رسالة زعموها ؟! أو قالوا بها ؟!

والاجتهاد لا يتوقف أبداً إلى قيام الساعة؛ لأن الظروف والمستجدات كثيرة، فنحتاج إلى علماء مهرة ملكوا أدوات الاجتهاد؛ يجتهدون فيما يستجد من أمور؛ حتى يبقى الإسلام غضاً طرياً، مصلحاً للزمان والمكان، ففرق كبير بين اجتهاد هؤلاء الكواكب الأربعة النيرة، وبين قولك إنهم رسل؛ فهم مقتبسون من كتاب الله وسنة النبي المختار ﷺ وليسوا رسلا جددا .

والإسلام لا يعدم العلماء المجتهدون؛ فالله يبعث المجددين المجتهدين الذين يظهرون الإسلام بصورته الطيبة، ويستخرجون غوائص الإجابات للمسائل المستجدة؛ حتى يبقى الإسلام غضَا طريا إلى قيام الساعة؛ وهذا هو المراد من قوله (ﷺ) السابق (إِنَّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجَدِّد لها دينها)

يقول ابن الأثير رحمه الله: " قد تكلم العلماء في تأويل هذا الحديث، والأولى أن يحمل الحديث على العموم، فإن قوله (ﷺ):«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» لا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا واحدا، وإنما قد يكون واحدا، وقد يكون أكثر منه فإن لفظه «من» تقع على الواحد والجمع، وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث : الفقهاء خاصة، كما ذهب إليه بعض العلماء ، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء، وإن كان نفعا عاما في أمور الدين، فان انتفاعهم بغيرهم أيضا كثير مثل أولى الأمر، وأصحاب الحديث والقراء و الوعاظ، وأصحاب الطبقات من الزهاد، فإن كل قوم ينفعون بفن لا ينفع به الآخر، إذ الأصل في حفظ الدين حفظ قانون السياسة، وبث العدل والتناصف

---

[١] – المفيد فى الفقه الإسلامى– د. عبدالرحمن العدوى ص١٥– كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٦م

[٢] – المرجع السابق ص١٤

الذي به تحقن الدماء ويتمكن من إقامة قوانين الشرع، وهذا وظيفة أولي الأمر، وكذلك أصحاب الحديث : ينفعون بضبط الأحاديث التي هي أدلة الشرع، والقراء ينفعون بحفظ القراءات وضبط الروايات، والزهاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا، فكل واحد ينفع بغير ما ينفع به الآخر، لكن الذي ينبغي أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلا مشهورا معروفا مشارا إليه في كل فن من هذه الفنون، فإذا حمل تأويل الحديث على هذا الوجه؛ كان أولى، وأبعد من التهمة، وأشبه بالحكمة، فإن اختلاف الأئمة رحمة، وتقرير أقوال المجتهدين متعين، فإذا ذهبنا إلى تخصيص القول على أحد المذاهب، وأولنا الحديث عليه، بقيت المذاهب الأخري خارجة عن احتمال الحديث لها، وكان ذلك طعنا فيها؛ فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارة إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة يجددون للناس دينهم، ويحفظون مذاهبهم التي قلدوا فيها مجتهديهم وأئمتهم ؛ وقد كان قبيل كل مائة أيضا من يقوم بأمور الدين ، وإنما المراد بالذكر من انقضت المائة وهو حي عالم مشهور مشار إليه)([1])

٣- تفسير التاريخ تفسيرا قوميا:

تأثر الدكتور حنفى بالرافد القومى الذى يعنى: " قراءة التاريخ في إطار من النظرة القومية،والمصالح المشتركة ؛ وهذا يتطلب دراسة الأقوام المشتركين في عرق، أو لغة ،أو أرض واحدة، وتجمعهم المصالح المشتركة ".([2])

وهذا الرافد الفكرى أملى على حنفى الدعوة إلى القومية المصرية ،والقومية العربية ورفض أي معنى من معاني التجمع تحت راية الإسلام مثل الأمة الإسلامية، أو الوطن الإسلامي الواحد،.... وذهب إلى أن اجتماع الناس على مصلحة دنيوية مشتركة، أو وطنٍ واحد، أو لغة معينة، يكفي في تحقيق الغرض المطلوب؛ تبين ذلك من إجابته على سؤال طرح عليه حول

---

[1] – جامع الأصول في أحاديث الرسول– مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ)

تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط – ج١١ص٣١٩ – مكتبة الحلواني –الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م

[2] – الحداثة فى ميزان الإسلام – ج١ ص٤٢٧مرجع سابق.

مفهوم الخلافة الإسلامية وإمكانية عودتها؟

فأجاب: (إن دولة الخلافة كانت قيمة روحية ورمزية؛ خاصة لدول جنوب شرق آسيا مثل الهند وباكستان؛ لشعورهم بالارتباط الأمني والروحي بهذه الخلافة... ثم استطرد قائلاً: كانت الخلافة تمثل الأمان لرعاياها؛ لدفاعها عن الاستقلال الوطني في الجزائر بالأسطول العثماني، ودفاعها عن الهند ضد الاستعمار البريطاني ، والجمهورية الإسلامية ضد الاستعمار القيصري ، ولسهولة الحركة بين أفرادها دون عقبات ؛فلا توجد تأشيرات ،أو تصريحات لمن يسيرون فيها؛ من أولها إلى آخرها؛ فلقد كان المسلم يسير من طنجة إلى الصين بدون تأشيرات، وبعد أن سقطت الخلافة عام ١٩٢٤م إثر قيام الثورة الكمالية ١٩٢٣م حدثت رجة عنيفة لبعض الدول الإسلامية لعدم معرفتها أين تذهب؟ لارتباطها بالخلافة، ولكن الخلافة بمفهومها الماضي لن تعود؛ بل هو غير مقبول.

... ثم يطرح د. حنفى بدائل عنها فيقول: هناك بدائل عنها مثل القومية العربية، واجتماع الناس حول حركات التحرر الوطني، أو أي تكتل آخر، ولا يشترط الدين في ذلك، وأكبر مثال على ذلك هو ما تقوم به تركيا في الوقت الحالي من تحالفات على أساس التعاون، واستثمار الماضي وليس على أساس ديني، فيجب توسيع مفهوم القومية العربية بحيث لا تعتمد بالضرورة على الدين؛ ولكن تعتمد على الثقافة واللسان) [1]

مناقشة مرتكز تفسير التاريخ قوميا عند حنفى:

– إن تفسير التاريخ قوميا عند حنفى وسيلة من وسائل التغريب الذى يدعو إلى العصبيات، والقوميات؛ فهو يدعو لربط المسلمين بأى رابط غير رابط الدين؛ فالرابط الثقافى مقبول، والرابط اللغوى مقبول، ورابط التحرر الوطنى مقبول؛ أما الرابط الأساسى وهو رابط الدين، والعقيدة، ووحدة التوجه إلى الله؛ فليس ضروريا؛ بل غير مقبول .

وهذه الروابط المقبولة عند حنفى هى الوجه الآخر للقومية، والشعوبية، والإقليمية التى قاتل من أجل نكريسها المغربون، والمستشرقون بغية تقطيع أواصل المجتمع الإسلامى (فقد تدفق

---

(١) لقاء تلفزيوني بين حسن حنفي والأستاذ/ عادل حمودة على قناة C B C في يوم ١٥/ ١٢/ ٢٠١٢م .

المبشرون وأشياعهم إلى كل بلد إسلامى فنفخوا في نار الفتن المتمثلة في القومية؛ كالفرعونية، والفينيقية، وغيرهما) [(١)].

- والسؤال الذي يطرح نفسه على د.حنفى ما هو أقوى العوامل للارتباط به؟

الدين الذي يملك على الإنسان قلبه، ونفسه، وروحه؟ ويعيش من أجله، ويموت من أجله، وتختفى فيه فوارق الجنس، واللون، والأرض ! ويعيش الناس به سواسية أحرارا لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى إلا بالتقوى والعمل الصالح ؟!([٢])

أم الارتباط بجنس مخصوص، أو لون مخصوص، أو تراب مخصوص؟!

إن أهم ما يؤثر في الإنسان هو الارتباط الروحى والوجدانى؛ لأنه يتعلق بقيم ومبادئ يتفق عليها المسلمون في المشرق والمغرب؛ فأي فضيلة بعد ذلك!! .

- إن ما يدعو إليه حنفى هو تطبيق لأفكار التغريبيين ، وتحقيق لأهدافهم ، وهذا ما استنبطناه من كلام الرجل عن المواطنة، والانتماء؛ فلقد طرح عليه سؤالٌ عن المواطنة[(٣)]

فقال:(المواطنة هي الأصل الذي يرجع إليه أي شيء سواء هوية دينية أو قبلية..،وهى

([١]) بين الإسلام والغرب ضراوة أحقاد ومرارة حصاد، د/ علي عبد الوهاب، ص ٢٧٩، ٢٨٠، دار ركابي للنشر، ط/١، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

[٢] - هذا الحقيقة جاءت فى حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم - (فعن أبي نضرة حدثني من سمع : خطبة رسول الله صلى الله عليه و سلم في وسط أيام التشريق فقال يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى أبلغت قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم قال أي يوم هذا قالوا يوم حرام ثم قال أي شهر هذا قالوا شهر حرام قال ثم قال أي بلد هذا قالوا بلد حرام قال فإن الله قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم قال ولا أدري قال أو أعراضكم أم لا كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا أبلغت قالوا بلغ رسول الله صلى الله عليه و سلم قال ليبلغ الشاهد الغائب) المسند للإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني بتحقيق الأرنؤوط- مسند رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم- ج٥ص٤١١حديث رقم- ٢٣٥٣٦- مؤسسة قرطبة - القاهرة وهو إسناده صحيح

([٣]) لقاء مع قناة C B C، مع عادل حمودة، ١٥/ ٢/ ٢٠١٢م .

صمام الأمان فى المحافظة على الوطن من التفتت، والتشرذم، وإن لم تنشأ المواطنة التي تجمع بين كل الناس في الحقوق والواجبات، وتختفى الهويات الفرعية الناشئة في مجتمع مازال نامياً سيظل لدينا خطر التفتيت والتجزئة، بعد أن حاولنا في الخمسينيات والستينيات فى حركات التحرر الوطنى التجمع) .

– إن دعوة حنفى إلى تفسير التاريخ قوميا؛ وما يترتب عليه من النظرة القومية، والمواطنة الضيقة لهى ثمرة من ثمار التغريب الذي يغزو عقول أبناء البعثات العلمية، فبدلاً من أن يتعلم المبعوثون خبرات الغرب العسكرية ، والاقتصادية...؛ إذا بهم ينقلون بريقه الزائف؛ ويستبسلون من أجله؛ وهذا واضح فيما يقوم به الدكتور حنفى من تمجيد القوميات بالمفهوم الضيق على حساب الدين .

– وهذه الدعوة في ميزان الإسلام جاهلية بغيضة، وعصبية منتنة؛ لا يقرها الإسلام بحال من الأحوال؛ وهذا ما بينه النبى (ﷺ)عندما ضرب غلام من المهاجرين دبر غلام من الأنصار بيده فاقتتلا؛ فنادى المهاجر يا للمهاجرين، ونادى الأنصارى يا للأنصار، فخرج النبي (ﷺ)إليهم ونهاهم عن هذه العصبية المنتنة، ودعاهم إلى التواصى بالحق، والبعد عن التناصر بالباطل(فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا في غزاة – قال سفيان مرة في جيش– فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار–ضرب دبره بيده– فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فسمع ذاك رسول الله (ﷺ)فقال (ما بال دعوى جاهلية) . قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال (دعوها فإنها منتنة) ([1])

[1] – الجامع الصحيح المختصر– محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – تعليق د. مصطفى ديب البغا – كتاب التفسير – سورة المنافقون – ج٤ص١٨٦١–حديث رقم٤٦٢٢–– دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

المبحث الرابع : العلمانية

المطلب الأول : مفهوم العلمانية عند حسن حنفى :

من الأصول الفكرية التى انطلق منها حنفى فى نظرته للدين العلمانية ؛ والعلمانية عند حسن حنفى تعنى : بقاء الدين شأناً خاصاً للفرد لا يتعداه إلى جنبات الحياة ، (فالعلمنة لا تعني بالضرورة إلغاء المقدس؛ ولكن اعتباره شأناً من الشئون الخاصة) (١)

فالعلمانية عند حنفى تعنى بقاء الدين علاقة خاصة بين العبد وربه لا تتعداه إلى الحياة ؛ فهى أشبه بعلاقة سرية لا أثر لها فى واقع الحياة ؛ مثلها مثل علاقة النصرانى بربه، أما الحياة فتحكمها قيم العلمانية من، الحق، والعدل، والخير، والمساواة ،والديمقراطية ، والحرية ،...

ويعلل حنفى ذلك بأن (قيم العلمانية من، الحق، والعدل، والخير، والمساواة ،والديمقراطية،والحرية.. الخ،هي قيم الإسلام؛ فهي تتفق معه؛ فالقيم الحضارية هى هى؛ لأنها مشتركات إنسانية عامة) (٢) .

و يرى حنفى أن العلمانية بهذا المفهوم الجامع للقيم الحضارية تشترك مع الإسلام، لذا لا يتجاوز حدوده عندما يقول: (إن الإسلام دين علماني في جوهره) (٣).

و يترتب على العلمانية عند حنفى:

١- الزعم بأن إقامة المجتمع الصالح يمكن فى النظام المدني العلماني القائم على أساس الحقوق المشتركة من المواطنة، والمساواة؛ بخلاف النظام السياسى الإسلامى الذى يكرس العلاقة الكهنوتية ؛ ويفرض يدا عليا باسم الإله؛ يقول حنفى: (والمجتمع المدني نقيض

---

(١) أسئلة النهضة العربية التاريخ، الحداثة، التواصل، د/كمال عبد اللطيف، ص ٢٥، مركز دراسات الوحدة العربية، ط/١، سنة ٢٠٠٣م .

(٢) لقاء د، حنفي على قناة دريم، مرجع سابق .

(٣) لقاء د/ حنفي على قناة دريم، مرجع سابق .

المجتمع الديني الثيوقراطى([1])؛ الذي تزعم فيه السلطة السياسية أنها تستمد شرعيتها من السماء وبالتالي لا يحق للبشر محاسبتها)([2])

٢- الزعم بأن المجتمع المدنى العلمانى مجتمع عقلانى يحترم العقل ويرجع إليه؛ لذا تختفى فيه المشكلات لتوافق الناس على حلها بما عهدوه من نظم وضعية توافقوا عليها ، وهذا ما لا يتوفر فى النظام السياسى الإسلامى؛ يقول حنفى : (والمجتمع المدني مجتمع عقلاني يحل مشاكله حسب قوانين وضعية، وتحاول فئاته الاجتماعية التوفيق بين مصالحها ومصالح المجمع، ومرجعيته تجارب الإنسانية الثرية فوق الأرض، وقد قننت خلاصتها نصوص تسهر على تطبيقها سلطة أوصلتها أغلبية الشعب إلى ذؤابة الدولة) ([3]).

٣- الزعم بأن تحقيق العلمانية المفضى إلى التقدم والرقى يستلزم إجراء ثورة إنسانية على التراث من أجل تأسيس قضايا التغير الاجتماعي على نحو طبيعي وتاريخى .

٤- ضرورة الوصول إلى الشروط الاجتماعية، والثقافية التي تنتج خطاباً دينياً متطوراً منفتحاً على العصر، يتجاوز الخطابات الدينية الجامدة المتزمتة ؛ لتحقيق العلمانية فى أبهى صورها.

٥- كفاية قيم العلمانية ، والعقد الاجتماعى ، وما تواطأت عليه العقول ؛ فى إقامة المجتمع الصالح الذى يبقى فيه الدين خارج المنافسة ،والمنازعة، والمناطحة؛ وهذا سبب تقدم المجتمعات الغربية.

لذا يدعو نجد حنفى يدعو إلى ثورة جديدة على التراث؛ لنتمكن من الخروج من القرون المظلمة التي نعيشها إلى الرقي والتقدم ؛ والطريق إلى ذلك العلمانية التى يعتبرها حنفى

---

[1] –الثيوقراطى: لفظ يونانى مركب من لفظين أحدهما (تيوس)ومعناه الله والآخر(كراتواس) القوة والسلطان ،ويطلق على كل نظام سياسى مبنى على سلطان إلهى تمثله السلطة الروحية ، وهو يفرض عدم التمييز بين هذه السلطة والسلطة الزمنية.(المعجم الفلسفى د.جميل صليبا –بابالثاء ج١ص٣٦٩ دار الكتاب اللبنانى ط١٩٨٢م

[2] – التراث والتجديد ص ١٣، مرجع سابق.

([3]) التراث والتجديد ص ١٣، مرجع سابق.

ضرورة حياتية، واجتماعية ، وسياسية، وحضارية؛ لتحقيق التقدم ، والحداثة، والرقى.

المطلب الثالث: مناقشة العلمـــــــــــــانية عند حسن حنفى :

يمكن دحض مزاعم حسن حنفى وشبهه فى هذا الموضوع عند مناقشة آرائه الفكرية، وتصوراته العقلية المتعلقة بالعلمانية ، وأظهر ما يكون النقاش فى الأمور التالية:

أ- ما زعمه بضرورة نقل العلمانية إلى المجتمع السلم لتحقيق التقدم مثل أوربا:

هل يمكن نقل العلمانية إلى المجتمع المسلم لتحقيق تطوره، وبناء الدولة المدنية كما يقول الرجل؟!

إن قبول العلمانية في المجتمع الغربي ممكنٌ بل يمكن أن يكون ضرورة لأسباب كثيرة منها:

١- ما صاحب كتابها المقدس من تحريف نَتَجَ عنه عدم وجود الغضاضة في ترك العمل به، لتدخل العنصر البشرى فيه؛ فيمكن الاستعاضة عنه بقوانين ومواضعات بشرية؛ لانتفاء القدسية عنه.

٢ . ثبتت الكنيسة متغيرات المجتمع الإنساني ثبات الدين؛ فدخلت بالمجتمعات الأوربية مرحلة الانحطاط والجمود، والعصور المظلمة؛ وتسلطت على الرقاب، وجمدت العلم، وأرهبت الفكر، واضطهدت العلماء والمفكرين باسم الدين، وباسم الله، وباسم المسيح، وباسم الإنجيل؛ فكانت القرون الوسطى مرتعاً للتردي والتخلف؛ (وأكبر مثال على ذلك ما قامت به الكنيسة من سجن أحد علماء الفلك ست سنوات ثم أحرقته وذرّت رماده في الهواء؛ لأنه قال بنظرية دوران الأرض، وهذا ما يخالف ما تقوم به الكنيسة من أن الأرض هي مركز الكون، والأجرام السماوية كلها تدور حولها ، وبعد أن توصل جاليليو إلى صنع التليسكوب ورأى به دوران الأرض حقيقة؛ قبض عليه وعُذِّبَ حتى أعلن ارتداده عن رأيه، وأعلن أن ما رآه بعينيه عن دوران الأرض هو قول إلحادى خاطئ!!

وكفرت الكنيسة رئيس بلدية ألمانيا؛ لأنه اخترع غاز الاستصباح بحجة أن الله خلق الليل

ليلاً، والنهار نهاراً، وهو بمخترعه هذا يريد تغيير مشيئة الخالق فيجعل الليل نهاراً) [١]

بل إن (الكنيسة عندما وجدت انتشار تعاليم ابن سينا، وابن رشد عقدت المجتمع الكنسي عام ١٢١٠م في باريس وقررت منع تعاليم ابن سينا، وابن رشد في الجامعة، وعينوا من الأساقفة ما يتابعون العلوم الطبيعية، والرياضية ،والفلك ؛ لتقبل ما تراه مناسباً، وترفض ما لا يتلاءم والمعطيات اللاهوتية الثابتة عندهم) [٢] .

٣ – (سادت أوربا في تلك الحقبة نظرية السيف الواحد **Theary Ofone Swor** أي السلطة الجامعة بين الدينى والمدنى سواء تولاها البابوات الأباطرة أوالملوك الذين يوليهم ويباركهم البابوات ، وعرف هذا النظام في التاريخ الأوربي بنظرية الحق الإلهي للملوك**Divineright Of thekung**)[٣]؛

فعلى هذا الأساس ادعت الكنيسة لنفسها حقوقاً لا يملكها إلا الله ، مثل حق الغفران ،وحق الحرمان ، وغيرهما؛ فأحلّت وحرّمت، وأعطت ومنعت، وظلمت، وقتلت؛ فأصبح الخضوع لها ضربٌ من الذل والصغار؛ لذا وجب الخروج عليها؛ فينبغى إذن على د.حنفى أن يدرس التاريخ جيداً ليعى أن دوافع حركة الإصلاح في أوربا لا يصلح اتخاذها أساساً لإصلاح مجتمعاتنا؛ وأن العلمانية لا تصلح فى مجتمعاتنا للأسباب التالية:

١ . دعوة الإسلام دعوة شاملة ، تعني بشؤون الحياة المختلفة دون تجزئة أو تفرقة، فهى تهتم بالجوانب السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية ... ولسنا في حاجة إلى تنحية الإسلام جانباً، أو الاستعاضة عنه بشيء، بدعوى الإصلاح والتقدم؛ يقول تعالى:(مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ) [٤]، فهل تأتى العلمانية يا دكتور حنفى بقيم، أو مبادئ ،

([١]) العلمانية في مصر وأشهر معاركها، د/ إلهام محمد شاهين، ج ١ ص ٤٠ن ٤١، دار هارموني للطباعة، ط/١، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

([٢]) العلمانية في مصر، ص ٥٠، ٥١ بتصرف، مرجع سابق .

([٣]) العلمانية بين الغرب والإسلام، د/ محمد عمارة، ص ٦٢٥، دار الوفاء، ط/١، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م .

([٤]) سورة الأنعام، الآية (٣٨) .

أو أسس أفضل مما جاء الله به؟!!

إن أوربا معذورة لتحريف كتابها؛ أما نحن فلا عذر لنا وقد حفظ الله كتابه، وتكفل بحفظه (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [١] .

٢- أثبت التاريخ بصدق وأمانة دون تحيز أو مجاملة؛ أن الإسلام لم يحارب العلم ولا العلماء؛ فلا عذر لعزله، أو تنحيته، أو حصره في دور العبادة؛ فلقد أثبت التاريخ أن الإسلام دعا إلى العلم وحثّ عليه ورغب فيه، فأول ما نزل على رسول الله ﷺ (اقرأ) [٢] فلم يحدث اضطهاد ولا محاكم تفتيش للعلماء؛ بل وجدوا في ظل الحضارة الإسلامية الجو العلمي المناسب للبحث والتنقيب والاطلاع ، (فالخليفة المنصور جعل نفقات خاصة لتعلم العلوم الفلكية، والخليفة المأمون كان من شروط صلحه مع ميشيل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكاتب الأستانة، وتبنت دولة بني العباس مشروعات الترجمة بأنواعها، واختلاف لهجاتها ومحتوياتها، وتحملت في مقابل ذلك أعباء مادية باهظة؛ وكل ذلك كان لخدمة العلم) . [٣]

٣- إن الدولة الحديثة التي تقوم على أسس العلم والبحث هي الدولة التي دعا الإسلام إلى تكوينها؛ وحرصت الدولة الإسلامية في أوج قوتها على رعايتها والاهتمام بها، فخرج البيرونى([٤]) فى علم الرياضيات،وابن سينا، والفارابى([٥]) فى علم الطب، والفلك، وابن

([١]) سورة الحجر، الآية (٩) .

([٢]) سورة العلق آية(١)

([٣])العلمانية في مصر، ص ٤٧ بتصرف، مرجع سابق

[٤] – البيرونى: هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى عالم وفيلسوف عربى من أصل فارسى ولد فى هوازن٣٦٢هـ ومات فى غزنة ٤٢١هـ وقيل ٤٣٩هـ له تآليف فى التاريخ والجغرافيا والفلك والتنجيم والصيدلة والرياضيات وكان يتقن اللغة التركية والفارسية والعبرية والسريانية والسنسكريتية بالإضافة إلى العربية ، وأهم مؤلفاته: الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أم مرذولة (معجم الفلاسفة حرف الباء صـ٢٢١،٢٢٢ بتصرف يسير – مرجع سابق)

[٥] – الفارابى: أبوالنصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابى ولد فى واسج فى مقاطعة فاراب بتركستان من أب يقال إنه كان قائدا عسكريا فى بلاط الساماييين ، درس المنطق والفلسفة والنحو والصرف والعلوم

رشد في الفلسفة .. وغير ذلك الكثير والكثير...

ويكفى أن نقارن ذلك بما (أصدره المجلس البابوى سنة ١١٦٣م بوجوب إهمال تعليم الجراحة في المدارس الطبية على أساس أن الجراحة لا تليق إلا بالحلاق والجزار) [١] .

ب- الرد على ما زعمه حنفى من أن وجود الدولة الإسلامية يقتضى السلطة الكهنوتية :

إن ما يدعيه حنفى وأتباعه من أن الدعوة إلى الدولة الإسلامية تقتضى السلطة الكهنوتية لرجال الدين مثل ما حدث للمسيحية في القرون الوسطى هو زعم باطل؛ والرد عليه من السهولة بمكان؛ فالسلطة الكهنوتية الموجودة أو التي أوجدها رجال الدين المسيحي في أوربا لم توجد في الإسلام؛ لأن الإسلام لم يدع لأحدٍ بعد الله ورسوله سلطاناً على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه؛ فالرسول ﷺ كان مبلغاً ،ومذكراً، وهادياً، وبشيراً، ؛ ولم يكن جباراً ولا مسيطراً قال تعالى: (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ) ([٢]) ،

فالعلماء لا يملكون حقاً إلهياً مثل الحق البابوى، بل عليهم النصح والإرشاد، والدعوة إلى صراط الله المستقيم ؛ فشتان بين سلطة رجال الدين في المسيحية ، وبين دعوة أهل الذكر والعلم في الإسلام .

ج- الرد على ما زعمه حنفى من أن قيم العلمانية هى قيم الإسلام:

قيم الإسلام تختلف عن قيم العلمانية فى المضمون، والهدف، وطريقة العمل، والضوابط المحيطة بها؛ فالقيم والأخلاق في الإسلام تتميز بمميزات تجعلها تفارق قيم العلمانية؛ ومن هذه المميزات:

أ – إنها تصدر من الوحى المعصوم، ويعني هذا أنها ثابتة، ومعصومة من الزلل، فالإنسان لا يمكنه من تلقاء نفسه ودون معونة إلهية أن ينشئ نظاماً حياتياً صالحاً له، ولا يمكنه أن يقيم

والرياضيات والموسيقى لقب بالمعلم الثانى، وأرسطو هو المعلم الأول مات ٣٣٩هـ عن ثمانين عاما (معجم الفلاسفة حرف الفاء – الفارابى –بتصرف يسير – مرجع سابق)

([١]) قصة الطب عند العرب، أحمد حسنين القرن، مراجعة: د/ مصطفى شفيق، ص ٩٢ . ٩٥، ط/١، القاهرة

[٢] –سورة الغاشية الآيتان ٢١–٢٢

منظومة قيمية تساعده على أداء دوره في الأرض ؛ بسبب ما يطرأ عليه من ميل لهوى، وما جبل عليه من ضعف؛ بينما الوحى يأتى بقيم خالدة ؛ تحفظ على الإنسان جهده، وحياته، وترتفع به إلى المستوى اللائق به كخليفة الله في أرضه؛ فالأمر بكافة درجاته ، والنهى بكافة درجاته ؛ لتحديد توجيهات الإنسان نحو خالقه ، ومجتمعه، ونفسه.

إن عدم وجود أصل ثابت ترتكز حوله القيم يجعل مضمونها يختلف من مكان إلى مكان اختلافاً يؤدى إلى فقدها قيمتها من الحفاظ على العفة، والطهارة، وحماية المستضعفين، وتحقيق السلم الاجتماعى ،...إلخ ، وهذا بين فى واقع الحياة؛ فالشذوذ الجنسي، والزنا، وزواج المثلين والمحارم حرية فى العلمانية، بينما هو رزيلة ممقوتة فى الإسلام يقدِر لها عقوبة؛ حفاظا على الأعراض والأنساب ، ورعاية للصحة العامة، وانتساب المرأة لأمها وليس لأبيها؛ مساواة في العلمانية ؛ بينما هو في الإسلام خلل اجتماعي، وفساد دينى،والنفعية مبدأً اقتصادي يقوم على المصلحة ؛ بينما هو فى الإسلام أثرة وأنانية.

ب– إنها جامعة لكافة مناشط الإنسان وتوجهاته، تستوعب حياته كلها من جميع جوانبها، ثم هى تراعي الحياة الأخرى، ولا تقف عند حدود الدنيا .

ج– إنها تتميز بالاستمرارية والعمومية لكل الناس في كل زمان ومكان، فهى لا يطرأ عليها تغيير أو تبديل بسبب تغير الظروف والأزمان؛ لأنها ليست من نتاج بشر، بل هي وحى من الله تعالى؛ لذا فإن الاستمرارية سمة فاصلة بين قيم الله سبحانه وتعالى وقيم البشر .

د– إنها توازان بين الجسد والروح ، ولا ترعى جانبا على حساب جانب؛ بل ترعى الوسطية فى كل شيء ، فهى تهتم بالفرد كما تهتم بالجماعة، وتوازن بين الدنيا والآخرة، والقوة والرحمة؛ فهى معبرة تعبيراً صحيحاً عن الفطرة البشرية، والطبيعة الإنسانية، فى واقعية كاملة، قال تعالى:(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)[1] .

ج – إنها ترتبط بالجزاء الدنيوى والأخروى معا، ليستشعر المرء مسؤوليته أمام نفسه، ويراقب ربه سبحانه وتعالى، يقول د. دراز رحمه الله : (شئون الإنسان على ثلاثة أضرب: منها ما

([1]) سورة القصص، الآية (٧٧) .

للعقل فيه مجال واضح، وحكم حاسم؛ وهو الأصول التي لا تتعارض فيها النظار، ولا يختلف فيها اثنان؛ كحسن الصدق النافع، وقبح الكذب الضّار...، فيجئ الشرع في هذه المواضيع مقرراً لحكم الفطرة ومؤكداً، ومنها ما للعقل فيه نور ضئيل تغشاه الظلال، وتخالطه الأوهام؛ وهو مواضع الشبهات العقلية كالخمر، والربا، والصدق الضار، والكذب النافع، واستبقاء الحياة المعذبة مع اليأس، والتضحية بها في سبيل الواجب مع القدرة على حفظهما ... فهنا يجئ الشرع إمداداً للنور والعقل ؛ بترجيح جانب الحكمة والرشد فيه، وتصحيح أخطاء الوهم التي تخالطه وتغشاه ، ومنها ما لامدخل للعقل فيه بإطلاق؛ كتفصيل أنواع العبادات، وكيفياتها، ومقاديرها ... فيكون ورود الوحي بها مكملاً لما فات العقل إدراكه، ماحياً للظلمة التي تركها وراء حدوده ؛ وهكذا يكون للفطريين الذين لايتبعون إلا شريعة العقل نور واحد، ويكون لأتباع الشرائع السماوية نوران اثنان كما قال تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَى نُورٍۗ﴾[1] [2] ؛ فأى تشابه إذن بين قيم العلمانية وقيم الإسلام؟! وكيف يكون الإسلام علمانيا فى جوهره؟!

([1]) سورة النور، الآية (٣٥) .

([2]) دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، د/ محمد عبد الله دراز، ص ١١٦، ١١٧، دار المعرفة الاجتماعية، الإسكندرية، ط/١، سنة ١٩٨٩م .

الفصل الثالث

ثمار أصول حسن حنفى الفكرية فى ميزان الإسلام

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : العقيدة

المبحث الثانى: الشريعة

المبحث الثالث: الأخلاق .

مقدمة :

لقد أثمرت أصول حسن حنفى الفكرية تصورا مغايرا لما عهده أهل الإيمان من لدن سيدنا رسول الله ﷺإلى الآن:

فأفرزت ركيزة أنسنة الدين تصورا مشوها عن الوحى المقدس ومانتج عنه من عقيدة ، وشريعة، وأخلاقيات..، ففرغ الدين من محتواه، وتحولت السمعيات إلى أمور عقلية فلسفية، لا مكان فيها لنعيم الجسد أو تعذيبه، وأصبح القرآن الكريم كلام الله المعظم يمكن خضوعه لمناهج النقد التاريخى مثل كلام البشر تماما، وأصبح بإمكان النبى أن يغيِر من طبيعة الوحى تبعا لحالته الشعورية، والنفسية..!

وأفرزت ركيزة تقديم العقل على النقل تأليه العقل على أنقاض النص ، بل وقياس النص المعصوم على العقل القاصر؛ وأدى ذلك إلى عدم الإيمان بالغيبات لعدم خضوعها لسلطة العقل، والزعم بعدم الحجة إلى النبوات لقدرة العقل على الهداية والإرشاد.

وأفرزت ركيزة التاريخية النظر إلى الوحى على أنه تاريخ يخضع للواقع والظروف ويدور معهما حيث دارا؛ يقول حنفى: " الوحى موضوع طبقًا لأسباب النزول فهو ليس مفروضًا على الواقع بل ظهر بناء على نداء الواقع ، واكتمل بناؤه على تطوره، وأعيدت صياغاته طبقًا لقدراته وأهليته على ما هو معروف في الناسخ والمنسوخ، هي عملية جدلية بين الفكر والواقع، الواقع ينادي على الفكر ويطلبه، والفكر يأتي مطورًا للواقع ويوجهه نحو كماله الطبيعي "[1].

فلا معنى لقداسة، أو إلزام ، وأى طاعة تنبثق عن الوحى هى طاعة عمياء ؛ ينقصها التفكر والتدبر.

وأفرزت ركيزة العلمانية الدعوة إلى النسبية الأخلاقية ، والنظر إلى الواقع بنظرة المصلحين الأوربيين فى القرون المظلمة، متناسيا البون الشاسع بيننا وبين أوربا فى المصدر،والمنهج ، والأسلوب .

ويأتى هذا الفصل ليوضح ما أثمرته أصول حسن حنفى الفكرية فى العقيدة ، والشريعة، والأخلاق ...

---

(١) من العقيدة إلى الثورة (٤٦٥/٢) .

المبحث الأول : العقيدة

يتحقق إيمان العبد عندما يؤمن بربه إلها خالقا، رازقا، سميعا، بصيرا، محييا، مميتا، وهو على كل شيء قدير؛ وهذا الإيمان يحتم على العبد تنزيه الله سبحانه وتعالى عن التشبه بالحوادث (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ([1])، فالله سبحانه تعالى له صفات الجلال والكمال، متفرد بالعظمة والكبرياء.

وتصور حنفى عن الألوهية تصورا مشوها ممقوتا ،اختلط فيه اغتراب فيورباخ ،مع مادية ماركس، وتصورات نيشته، فصارت نظرته فى العقيدة نظرة معقدة لا ترى فيها غير التشكيك والتردى :

١- فحنفى يرى أن المسلم لا يحتاج إلى الإيمان بالجانب الغيبى لكى يكون مسلما؛ يقول حنفى : (فلا يحتاج الإنسان كي يكون مسلماً إلى الإيمان بالجنة والملائكة والشياطين والعفاريت، فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، فيمكن للمسلم المعاصر أن ينكر كل الجانب الغيبي في الدين ويكون مسلماً حقاً في سلوكه) [(٢)] .

و حنفى بهذا الكلام يخالف القران الكريم والسنة النبوية فى أمرهما بالإيمان بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، واعتبارهما من يكفر بذلك فى ضلال بعيد ، قال تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا)([3])

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِيمَانُ قَالَ « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الآخِرِ ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِسْلاَمُ قَالَ « الإِسْلاَمُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّىَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِحْسَانُ قَالَ « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ

[1] - سورة الشورى آية (١١)

([2]) في فكرنا المعاصر، حسن حنفي، ص ٩٣ .

[3] -سورة النساء آية(١٣٦)

كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لاَ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَالَ « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِى الْبُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِى خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ ». ثُمَّ تَلاَ –صلى الله عليه وسلم– (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ». قَالَ ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « رُدُّوا عَلَىَّ الرَّجُلَ ». فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– « هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ ».([1])

٢– ووصل الأمر بحنفى أن اعتبر الله سبحانه وتعالى الخالق الرازق المحيى المميت مجرد شعور باطنى يتبلور إلى الحالة الوجدانية التى يعايشها الإنسان، وإلى الحالة التى نرجوها (يمكن أن يكون الله هو الأرض ؛ حرصا منا على تحرير الأرض ، وربطها بالألوهية ،ويمكن أن يكون الله هو الخبز، والحرية،تعبيرا عن حاجتنا إلى الغذاء والأمان)([2])

٣– ويرى حنفى "أن الله ليس إلا الإنسان مغتربًا فيه"؛ حيث يقول:(فالله ذات وصفات وأفعال ليس هو السلطان كامل الأوصاف ، بل هو الإنسان ذاته الموجود المتعالى ،المتفرد المتوحد،الذى له حق العلم والسمع والبصر والكلام، الذى يقدر على الفعل، ويريد ما يقصد، وهو الحى الذى يدافع عن حقوقه قبل أن يقوم بواجباته . فالإنسان هو العالم القادر الحى ، السميع البصير المتكلم المريد بالحقيقة والله كذلك بالمجاز قياسا للغائب على الشاهد. والقران مقرؤ بالصوت ، متلو باللسان ، محفوظ فى الذاكرة ، مفهوم بالعقل ،

---

[1] – الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم– أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري–كتاب الإيمان–باب الإيمان ما هو وبيان خصاله– ج١ ص٣٠–حديث رقم ١٠٦–دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة . بيروت

[2] – هموم الفكر والوطن التراث والعصر والحداثة – د. حسن حنفى ج١ ص٣٨١– دار قباء للطباعة والنشر ط١ – ٢٠٠٣م

مدون بالحرف،منزل فى زمان ومكان وبالتالى فهو حادث، يقدر الإنسان على إعادة انتاجه بصوته وفهمه وذاكرته وعقله).[1]

وهذا الكلام من حنفى يتشابه مع ما قاله ماركس عن الإله الذى يؤمن به ويدعو إليه؛ يقول الشيخ محمد الغزالى رحمه الله فى معرض حديثه عن الشيوعية:(أما موقفها من الدين نفسه ابتداء فهو الإنكار والخصام. يقول "كارل ماركس " فى "المانفستو" الذى أودع فيه مبادئه وجادل فيه خصومه: "أما ما وجه للشيوعية من تهم دينية وفلسفية وأخلاقية فلا يستحق بحثا عميقا .. ". عجبا.. إن الشيوعية متهمة بإنكار الله والرسل والحلال والحرام والبعث والجزاء فهل هذه القضايا كلها لا تستحق بحثا عميقا؟ ذاك ما يراه هذا "الكارل ماركس "!! ما الذى يستحق إذن عمق البحث؟ لقمة الخبز فقط..؟ أكل ما يتصل بالإنسانية الرفيعة نلقاه بقلة الاكتراث وهز الرأس ولا يشد انتباهنا فقط إلا رغيف الخبز؟)[2]

٤- وينظر حنفى إلى السمعيات نظرة عقلية فلسفية :

حيث يرى إن النظرة العقلية الفلسفية للسمعيات هي الأقرب إلى الإنسانية والمعقولية، وطبيعة العصر والروح المثالية ؛ ومثال ذلك ما رآه فى الدار الآخرة :

حيث أنكر عذاب القبر (فالميت لا حياة له وبالتالى لاتعذيب له ، ولم ير أحد عذاب القبر ، أو آثار على جثة إذا ما فتح القبر، ولم تسمع أصوات الأنين أو تأوهات الألم، وأين يقع الألم إذا ما تحولت الجثة إلى عظام بالية أو انقطعت إلى أجزاء فى جوف السباع وحواصل الطيور وأقاصى التخوم ومدارج الرياح)[3]

---

[1] -هموم الفكر والوطن التراث والعصر والحداثة – د. حسن حنفى ج١ ص٣٦٣- دار قباء للطباعة والنشر ط١ – ٢٠٠٣م

[2] – الإسلام في وجه الزحف الأحمر- الشيخ محمد الغزالي- ص٢٦- دار نهضة مصر-الطبعة الأولي بدون

[3] – من العقيدة إلى الثورة- د.حسن حنفى – ج٤ ص٤٧٨ -مكتبة مدبولى – بدون

وزعم أن الأقرب إلى الصواب إنكار حشر الأجساد، والتعذيب بالنار، والتنعيم في الجنة؛ لأن المعاد الروحاني تصور عقلي ممكن بخلاف المعاد الجسدي الذي لا يتفق مع التصور العقلى، يقول حنفى: (أليس إنكار حشر الأجساد والتعذيب بالنار والتنعيم في الجنة بحور العين والمأكل والمشرب والملبس من أجل إثبات المعاد الروحي والنعيم الروحاني أقرب إلى العقل والإنسانية؟

أليس القول بتقدم الله على العالم هو تقدم بالرتبة كتقدم العلة على معلولها دون أن يعنى ذلك تقدماً في الزمان إحدى التصورات الممكنة التي لا يرفضها العقل، إن تأويل الفلاسفة للنصوص والانتهاء إلى هذه القضايا الثلاث إنكار علم الله بالجزئيات، وإنكار حشر الأجساد، والقول بقدم العالم؛ ليس تكذيباً للنبوة وللرسالة بل تحويل للعقائد إلى معان عقلية تتفق وطبيعة العصر، والروح المثالية للفلسفات القديمة؛ نعمة العقل، ومنهج الاستنباط، ولذة الدهشة والمعرفة، إن التعديل الفاسد ليس كذباً أو كفراً بل هو اجتهاد خاطئ له أجر فهل يستوجب قول الفلاسفة كفر أو قتال؟) [1] .

وإن المرء ليعجب من زعم الدكتور حنفى أن له أجراً على إنكاره الثوابت الإسلامية وجعلها فى مقام الاختلافات في الأمور الشرعية التي تندرج تحت أصل شرعى؛ فكيف يرجو أجراً من الله سبحانه وتعالى بعد إنكاره ما يثبت القدرة، والعدالة، والجزاء الإلهى؛ وكيف يرجو أجراً بعد إنكاره مقصد الإلهيات، وسبيل النبوات، ويقول قول اليهود والنصارى، والمارقين من الفلاسفة!

إن الدكتور حنفي وضع نفسه في منزلق خطير لافترائه على الله سبحانه وتعالى فيما قال وأمر، وأترك الكلام لحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالى رحمه الله للرد على هذه الجزئية؛

يقول الإمام رحمه الله: (هؤلاء هم الفلاسفة ويجب القطع بتكفيرهم في ثلاث مسائل:

أ. إنكارهم الحشر للأجساد، والتعذيب بالنار، والتنعيم في الجنة؛ بالحور العين، والمأكل، والمشرب، والملبس .

---

(1) من العقيدة إلى الثورة، ج ٥ ص ٤٨٨ .

ب . قولهم أن الله لا يعلم الجزئيات وتفصيل الحوادث وإنما يعلم الكليات ؛ وإنما الجزئيات تعلمها الملائكة السماوية .

جـ . قولهم إن العالم قديم وأن الله متقدم على العالم بالرتابة مثل تقدم العلة على المعلول)[١]

...ويستطرد الإمام فى بيان خطر ذك الزعم القديم الحديث الذى يبطل فائدة الشرائع، ويسد باب الاهتداء بنور القرآن، ويستبعد الرشد من قول الرسل فيقول: (وهؤلاء إذا أوردوا عليهم آيات القرآن زعموا أن اللذات العقلية تقصر الإفهام عن دركها فمثل لهم ذلك باللذات الحسية، وهذا كفر صريح ، والقول به إبطال لفائدة الشرائع، وسد لباب الاهتداء بنور القرآن، واستبعاد الرشد من قول الرسل؛ فإنه إذا جاز عليهم الكذب لأصل المصالح بطلت الثقة بأقوالهم، فما من قول يصدر عنهم إلا ويتصور أن يكون كذباً وإنما قالوا ذلك لمصلحة، فإن قيل: لم قلتم مع ذلك بأنهم كفرة؟ قلنا لأنه عرف قطعاً من الشرع أن من كذبَّ رسول الله فهو كافر ؛ وهؤلاء مكذبون ثم معلّلون للكذب بمعاذير فاسدة وذلك لا يخرج الكلام عن كونه كذباً) [٢] .

فزعم حنفى فى تحويل اللذة المحسوسة إلى تصور عقلى ما هو إلا كلام الفلاسفة قديما؛ ولكن حنفى أعاده بصورة منمقة عليها ثياب زور من ادعاء المنهجية والبحث العلمى ؛ فعليه أن يراجع ردود العلماء على زعمه إن أراد إلى الاهتداء سبيلا؛ نسأل الله الهداية للجميع.

---

[١] – الاقتصاد في الاعتقاد، حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي، ص ١٢٥، ١٢٦ .

([٢]) المرجع السابق : ص ١٢٥، ١٢٦ .

المبحث الثاني : الشريعة

ينفى حنفى صفة الإلزام لشرع الله ، ويجعله مجرد علاقة روحية بين العبد وربه ؛ ينتفى معها كل إلزام ؛ بل ويعتبر أن الجهل والتخلف هو الدافع لتحَويل الوحى إلى عقائد وشعائر يُكفر من لم يؤمن بها؛ يقول حنفى " وفي فترة تخلفنا حولناه– الوحي– إلى مجرد عقائد وشعائر، نُكفّر من لم يؤمن بها أو يمارسها"[(١)]؛ فمهمة الوحى عند حنفى ليست هي تعبيد الناس لرب الناس، وهدايتهم، وإنما مهمته تربوية محضة خالية من أى إلزام بشعيرة، أو عبادة؛ يقول حنفى: " مهمة الوحى تربوية محضة، والغاية منه تربية الإنسانية وليس إعطاء عقائد أو إقامة شعائر أو تشييد مؤسسات، فالوحى وسيلة لا غاية؛ إذا تحققت الغاية أدّت الوسيلة المطلوب منها"[(٢)].

وهذا التصور الفكرى لحنفى عن الشريعة يرجع إلى ما زعمه من خلو الوحى من القداسة والإلزام؛ يقول حنفى: (ليس القرآن كتاب تحليل وتحريم بل كتاب فكر وليس الغرض منه تغليف العالم بقوانين وتقييد السلوك الإنساني بقواعد بل مساعدة الطبيعة على الازدهار والحياة على النماء)

فالوحى عند حنفى ميراث ثقافى، وتاريخى، وتربوى؛ يصف واقعا ، ويتغير بتغير الظروف والأحوال؛ فما يصلح للماضى لا يصلح للحاضر ؛ فلا قداسة للوحى بل هو مجرد وصف لواقع ، يقول حنفى: (نشأ التراث من مركز واحد وهو القرآن والسنة ولا يعنى هذان المصدران أي تقديس لهما بل هو مجرد وصف لواقع)" أهـ – ([٣])

وكيف تكون للوحى صفة الإلزام والقداسة ويمكن للإنسان – كما يرى حنفى –أن يأتى بمثله إذا تعلم بعض القواعد العلمية والمقدمات الضرورية؛ فالوحى" علم مستقل بذاته يستنبطه الإنسان ويضع قواعده وأصوله لا هو بعلوم الدين ولا هو بعلوم الدنيا. هو علم المبادئ الأولى التي تقوم عليها العلوم جميعًا، وهي مبادئ عقلية وطبيعية شعورية ووجودية

---

(١) هموم الفكر والوطن (٥٧/١).

(٢) لسنج : تربية الجنس البشري– ترجمة الدكتور حسن حنفى – ص١٢١– ط١ دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧٧م

[٣] –من العقيدة إلى الثورة ص٢٢

في آن واحد"[١].

فتصور حنفى عن الوحى جعله ينظر إلى الشريعة على أنها علاقة روحية لا ثبات فيها ولا إلزام.

مثال على ذلك : المرأة بين فكر حنفى وشريعة الإسلام:

زعم حنفى أن المجتمع الإسلامى ظلم المرأة؛ فلم يعطها حقها الكامل فى الإنسانية؛ بل اعتبرها موضوعا للنكاح ،والطلاق، والعدة؛ جاء ذلك في رده على سؤال وجه إليه؛ مفاده: لم وصلت المرأة في المجتمع المصري الحاضر إلى ما وصلت إليه من التهميش والإهمال؟ وما تفسيرك لما قام به حزب النور في الانتخابات البرلمانية الأخيرة بمصر بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م ؛ حيث وضع وردة أو فانوساً مكان المرأة في قائمة المرشحين؟

فأجاب سيادته: (في الثقافة الشعبية، وفي الكتب القديمة المرأة موضوعٌ للنكاح، والزواج، والطلاق، والرؤية، والحجاب، والغطاء،.. الخ، وإن لم تتغير هذه الصورة في الثقافة الموروثة فتصبح المرأة إنساناً له حق العمل، والرأي، والتعلم، والمواطنة فستظل المرأة في هذا السلوك الذي نراه الآن) [٢] .

ويستطرد قائلاً: (الخطورة في تقسيم المجتمع إلى أقليات وأغلبيات، واعتبار المرأة من الأقليات وضياع حقوقها؛ فالمرأة مواطن، والقبطي مواطن، والصعيدي مواطن، ... فالوطن يجمعنا جميعاً دون ذكر أو أنثى، أو ..)؛ ثم يؤكد فكرته من الواقع فيقول:(.. وحتى الآن في بطاقة الرقم القومي المصري يوجد خانة ذكر أو أنثى، فما الفائدة من ذلك؟ وعند الزواج يكتب ذكر أو أنثى فما فائدة ذلك؟!! أليس يظهر هذا في الملبس الخارجي؟!! إن هذا التقسيم إلى ذكر وأنثى؛ هو تقسيم قديم يجب النظر إليه؛ لأننا جميعاً في حق المواطنة سواء) [٣] .

- إن اتهام حنفى للإسلام بهذه النظرة الدونية للمرأة؛ من كونها موضوعاً للاستمتاع فقط؛

---

(١) من العقيدة إلى الثورة (٤/٣٦).

(٢) لقاء تلفزيوني على قناة C b C، مع الإعلامي عادل حمودة، سبق بيانه .

(٣) التخريج السابق .

كلام ترده الحقائق العلمية المجردة؛ لكنه يبدو– والله أعلم – خلط بين الموروث البشرى والموروث الشرعى؛ وأخذ من الحضارات السابقة ما يقلل من شأن المرأة وألصقه بالإسلام ظلما وزورا؛ فالحضارات السابقة؛ مثل الحضارة المصرية القديمة، وحضارة الهند، وحضارة بابل وآشور، والحضارة الرومانية كانت تنظر إلى المرأة على أنها موضوع للاستمتاع، وأنها أقل درجة من الرجل، وأنه لا حق لها بالاستقلالية، والحرية، والوضع الاجتماعي المناسب؛ فهى كالسلعة تباع بيعاً؛ (ففي حضارة مصر القديمة كان الملك يتزوج أخته وأحياناً ابنته، كما كان يضاجع قريباته، وكان له إلى جانب ذلك عدد كبير من بنات الأعيان اللاتي تقدمّن له هدية، وله عدد من أسيرات الحرب) [١] ، وفى حضارة الهند (المرأة مخلوق أقل من الرجل على كل حال وتقول أساطيرهم: إن الخالق عندهم عندما أراد أن يخلق المرأة وجد أن مادة الخلق كلها قد استنفذت في خلق الرجل، فصاغ المرأة من جذاذات وقصاصات تناثرت من عملية الخلق) [٢]، وفى حضارة بابل وآشور، والحضارة الرومانية (كانت المرأة تباع بيعاً كالسلعة؛ فكانوا يأتون بهن مرة كل عام إلى مكان يجتمع فيه حولهن عدد كبير من الرجال، ثم يصفهن دلاّل عام، ويبيعهن جميعاً واحدة في إثر واحدة ، فينادى على أجملهن أولاً، وبعد أن يقبض ثمنها عالياً ينادي على من تليها في الجمال) [٣] وأكبر مثال على إهمال المرأة فى الحضارات السابقة (ما قام به الفرنسيون عام ٥٨٦ من الميلاد من النظر فى شأن المرأة أتُعدُّ إنساناً أم غير إنسان؟ وكان ختام البحث أن قرر المجتمع أنها إنسان؛ ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل) [٤] .

---

(١) المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، د/ علي عبد الحليم محمود، ص ٥٢، دار الوفاء، ط/٤، سنة ١٤٢٢هـ، بتصرف يسير .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩، ٣٠ .

(٣) المرأة المسلمة، ص ٤٢ وما بعدها بتصرف يسير .

(٤) ينظر كتاب: محمد ﷺ المثل الكامل– أحمد جاد المولى – ص ٢٤٨ . ٢٥٠ بتصرف يسير، مكتبة دار المحبة، ط/١، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م

– فمزاعم حنفى حول المرأة هو محض افتراء على الإسلام، وخلط بين الموروث البشرى والموروث الشرعى، ونسى أو تناسى أن الإسلام ليس تراثاً شعبياً، ولا أفكار بشرية محضة؛ بل هو دين موحى به إلى رسول الله ﷺ، والمرأة فيه لها حقوق، وعليها واجبات؛ فلم تكن في الدين الإسلامي للمتعة فقط، ولا موضوعاً للشهوة والاستمتاع؛ بل هي موضوع للكرامة والاحترام والتقدير؛ فعن أم سلمة قالت: ﴿ قلت للنبي ﷺ: ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يذكر الرجال، قلت: فلم يرعني [*] منه يومئذ إلا ونداؤه على المنبر، قالت: وأنا أسرح شعري، فلففت شعري ثم خرجت إلى حجرة من حجر بيتي، فجعلت سمعي عند الجريد [**] فإذا هو يقول عند المنبر: يا أيها الناس إن الله يقول في كتابه: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)[1].

وعن أم سلمة قالت: ﴿ يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء فأنزل الله (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)[2][1] .

(1)المسند للإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني – مسند أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه و سلم – ج٦– ص٣٠١حديث رقم– ٢٦٦١٧– مؤسسة قرطبة – القاهرة وهو إسناده صحيح ؛ (*) فلم يرعني: يفزعني ويفاجئني ، (**) فجعلت سمعي عند الجريد: أي رفعت رأسي إلى جهة الجريد الذي هو سقف المسجد لقرب النبي ﷺ منه وهو على المنبر لكونه غير مرتفع عن المنبر كثيراً.ينظر نفس المرجع بتعليق الأرناؤط، والآية من سورة الأحزاب رقم٣٥

(2) سورة آل عمران، الآية (١٩٥) .

فهذان الحديثان يؤكدان مدى حرص الإسلام على نزع القلق والخوف من النساء بشأن كونهن أقل من الرجال في اكتساب الدرجات العليا في الدين، ونيل الأجر والمغفرة فبين لهم أن الله يجازي على العمل الصالح المثمر الذكر والأنثى؛ ولا يخص نوعاً دون نوع؛ يقول الإمام الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ بجميع ذكوركم وإناثكم أصل واحد، فكل واحد منكم من الآخر أي من أصله، كأنه منه لفرط اتصالكم واتحادكم) [٢] ،وفي سبب نزول قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ ما يؤكد على هذه الركيزة الإسلامية؛ ﴿ روي أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي ﷺ فقالت: هل نزلت فينا شيء من القرآن؟ قلت: لا، فأتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار، قالت: ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن بخيرٍ كما يذكر الرجال فأنزل الله هذه الآية ﴾ [٣] .

فليتأمل د. حنفي صاحب التجديد والثورة على القديم إلى درجة ومكانة المرأة في الإسلام، وعدم تميز الرجال عنهنّ بشيء في اتجاه اكتساب الدرجات العليا في الدين، ونيل الأجر والمغفرة من الرب الكريم؛ فهل الإسلام فعلاً لم يعتبر للمرأة كياناً مستقلاً له كافة الحقوق وعليه نفس الواجبات؟ أم اعتبرها درجة ثانية؟ أو كياناً هامشياً لا قيمة له؟! الإجابة أوضح من أن تذكر.

– وفى سبيل التأكيد على حقها وكرامتها حث الإسلام على تعليمها العلم النافع؛ ﴿ روى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ كان يخصّ النساء بأيام يعلمهن فيها مما علمه الله، وذلك

---

(١) . مستدرك الحاكم على الصحيحين– محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري – تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا– كتاب التفسير – تفسير سورة آل عمران–ج٢ص٣٢٨ دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠

(٢)الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل–أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي– تحقيق عبد الرزاق المهدي– ج١ص٤٨٥– دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون

(٣)أسباب نزول القرآن– أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (٤٦٨ هـ ١٣٨٨ هـ) – ج١ص٢٤٠– مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع – بدون

لما جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتي إليك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال ﷺ: اجتمعنّ يوم كذا وكذا، فاجتمعن، فجاء رسول الله ﷺ فعلمهنّ مما علمه الله ﴾ [١] .

وبشَر النبى صلى الله عليه وسلم من علَم المرأة العلم النافع بالثواب الجزيل؛فعن أبي بردة عن أبيه رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:﴿ أيما رجل كانت عنده وليدة؛ فعلمّها فأحسن تعليمها،وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجراه ﴾ [٢] .

(فالحديثان لا يحددان نوعاً من العلم وإنما يدعانه مطلقاً، فالعلم في هذين النصين أعم من أن يكون علم الدين وحده، وإنما يدخل فيهما كل علم نافع في الدين أو في الدنيا؛ فإن البنت المسلمة يجب أن تتعلم العلم الذي يؤهلها لأداء واجبها نحو ربها،ونحو مجتمعها) [٣] .

أقول:إن تعليم المرأة في الإسلام أمرٌ مقررٌ شرعاً؛ خاصة فى التخصصات التى تكون المرأة ألصق بها، ويجب أن يكون تعليمها في حيز من الحشمة،والاحترام، كما هو واضح في دين الله تعالى أهـ.

لذا ندعو د. حنفى إلى التأمل في صحيح الدين الذي يبيح للمرأة أن تتعلم ولا يجعل كلام غير المتخصصين في الدين هو العمدة في حكمه على الأشياء؛ خاصة وأنه يدعو إلى التجرد العقلى عند الحكم على الأشياء.

– والإسلام رد إلى المرأة اعتبارها الاجتماعى، ولم ينظر إليها على أنها كمُ مهمل لا قيمة

([١])الجامع الصحيح المختصر– محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – تعليق د. مصطفى ديب البغا – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة–باب تعليم النبى صلى الله عليه وسلم – ج٦ص٢٦٦٦– حديث رقمء– ٦٨٨٠– دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

([٢])صحيح البخاري – تعليق د. مصطفى ديب البغا – كتابالنكاح–باب باب اتخاذ السراري ومن أعتق جاريته ثم تزوجها – ج٥ص٩٥٥–حديث رقمء– ٤٧٩٥ – دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

([٣]) المرأة المسلمة، ص ٨٧، مرجع سابق .

له؛ فعن عائشة رضى الله عنه قالت:﴿قال رسول الله ﷺ إنما النساء شقائق الرجال﴾ [١]، وعن عمر بن الخطاب﷢ قال: ﴿ والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم﴾ [٢] .

– واستدلال حنفى ببطاقة الرقم القومي في مصر كعلامة للتمييز ضد المرأة، كلام يجانبه الصواب؛ لأن توضيح فصيلة المواطن إلى ذكرٍ و أنثى أمرٌ معتبر لا تمييز فيه؛ بل هو لتحديد النوع لمعرفة كيفية التعامل معه؛ ويظهر هذا الأمر حتى في ألعاب الرياضة التى يشترط فيهاتحديد النوع عن طريق اختبارات معينة لمعرفة الرياضى هل هو ذكر أم أنثى، لوجود بعض المتشبهين من الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، ولكثرة التغيرات التي تحدث عن طريق العمليات المختلفة؛ فيتطلب ذلك تمييز الذكر عن الأنثى؛ فهذا أمرٌ لا يمتُّ إلى التمييز بصلة.

وخلاصة المبحث: إن المزاعم التى نسجها حنفى حول الوحى المصدر الأساسى للشريعة إنما جاءت لتفريغ الدين من محتواه، وجعله علاقة روحية شعورية خالية من أى إلزام أو التزام.

المبحث الثالث: الأخلاق

(١) جزء من حديث نصه (عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– عَنِ الرَّجُلِ يَجِدُ الْبَلَلَ وَلاَ يَذْكُرُ احْتِلاَماً قَالَ « يَغْتَسِلُ ». وَعَنِ الرَّجُلِ يَرَى أَنَّهُ قَدِ احْتَلَمَ وَلاَ يَرَى بَلَلاً قَالَ « لاَ غُسْلَ عَلَيْهِ ». فَقَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ تَرَى ذَلِكَ شَىْءٌ قَالَ نَعَمْ « إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ) وشقائق الرجال: نظرائهم وأمثالهم في الخلق والطباع فكأنهن شققن من الرجال – ينظر: الجامع الصحيح سنن الترمذي – محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي – تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون– أبواب الطهارة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم – باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللا ولا يذكر احتلاما– ج١ ص١٨٩– دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢) صحيح البخاري – تعليق د. مصطفى ديب البغا – كتاب التفسير –سورة الطلاق – ج٤ص١٨٦٦– حديث رقم– ٤٦٢٩ – دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧

جاء الإسلام برسالة أخلاقية تهدف إلى تحقيق السلام الاجتماعى والخير بين البشر، وفى سبيل تحقيق ذلك جاء بمقاييس أخلاقية ثابتة؛ لا تقبل التغيير بفعل المنفعة،والمصلحة، والغاية؛ فالصدق هو الصدق ، والوفاء هو الوفاء...

وللأسف نجد حنفى يضرب بهذه الأمور عرض الحائط ويتبنى فكرة النسبية فى الأخلاق؛ والنسبية الأخلاقية: (مذهب يقرر أن فكرة الخير والشر تتغير بتغير الزمان والمكان من غير أن يكون هذا التغير مصحوبا بتقدم معين) [1]؛ فالصدق قد يتحول إلى حماقة وبلاهة، والعفة قد تصير تخلفا ورجعية... ، وهكذا دواليك

وعند استقراء مشروع حنفى الفكرى استقراء ناقصا؛ نجد رؤيته للأخلاق تكمن فى نقاط؛ أشهرها([2]) :

١ . مرجعية الأخلاق ذاتية إنسانية بحتة : فنجده يدعو لتحقيق القيم بمرجعية ذاتية إنسانية بحتة؛ فالمجتمع العلمانى المنفتح الحر هو الذي يعيد السلطة للشعب بعد أن سلبت منه لزمن بعيد عن طريق الحكومات الدينية التي تستند للدين في حكمها.

٢ . الثورة على الموروثات الشعبية؛ والمجتمعات التقليدية التي تدعو لتعويق عمل هذه القيم العلمانية في أرض الواقع ، وتحول دون ظهور آثارها وثمارها في المجتمع بحجة "المقدس"؛ فالثورة ضرورية على المجتمعات التقليدية التي لا يزال الدين فيها يحتل مكانة مركزية تؤثر على النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. الخ .

٣ . الدعوة إلى القيم بالمفهوم العلمانى الغربى؛ لأن ذلك يضمن الأرضية المناسبة لتوطين ونشر قيم البحث العلمي في بلادنا .

٤- تقديم قضايا المرأة والديمقراطية: يرى حنفى أنه يجب أن تحتل قضايا المرأة والديمقراطية الدرجة الأولى من اهتمام المثقفين العرب،؛ لأنها ثمرة من ثمار الحداثة

([1])المعجم الفلسفى –باب النون ج٢ص٤٦٦ مرجع سابق.

[2] –من العقيدة إلى الثورة– د.حسن حنفى – ج١– ص٨٦،٨٧ بتصرف كبير مرجع سابق، تعقيب في الإسلام والحداثة، حسن حنفي، ص ٣٨٧، بتصرف مرجع سابق

والتنوير والرقى؛ وهى ضرورة للمجتمع العربي لضمان رقيه وتقدمه ، وبدونها يكون التخلف والرجعية.

ويشترط حنفى لنجاح فاعلية حركات تحرير المرأة ؛ القضاء على الرؤية التقليدية التي تقسم العالم إلى خالق ومخلوق، وحاكم ومحكوم، وذكر وأنثى؛ فتقدم المجتمعات الإسلامية عند حسن حنفي مرتهن بقدرتها على تخطيها القرون المظلمة التي تعيش فيها، وانتقالها إلى عصر الثورة على الموروث ؛ الثورة على المقدس؛ الثورة على الثابت ؛ والانتقال إلى القيم الأخلاقية بالمفهوم الغربي العلمانى الشيوعى .

وتأثر حنفى فى ذلك بالرافد الماركسى الذى يرى أن الأخلاق لا تعرف مقياسا، ولاضابطا ؛ فلو كان التعاون مع الشيطان سببا فى تحقيق النماء؛ لكانت معاونته الخلق الأكبر؛ يقول الشيخ محمد الغزالى رحمه الله:(...ثم يمضى ماركس قائلا: "هل يخفى على ذى بصيرة أن آراء الناس ومداركهم ومشاعرهم كلها تتغير بتغير أحوالهم المادية وعلاقاتهم الاجتماعية ونظام معيشتهم"؟ نقول([1]): هذا باطل فإن الإنسان قد يتغير تقديره لبعض الأمور أو إحساسه بها لتفاوت ظروفه النفسية أو الفكرية أو البدنية. أما أن جميع الحقائق تتبع – تصورا وتصديقا – الأحوال الاقتصادية فكلام فارغ فكم من حقائق صلبة لا يغيرها اليسر والعسر، لا الذكاء والغباء؟ ولكن ماركس يمضى فى لغوه فيقول فى جزم: "وهل من شىء أكثر وضوحا فى تاريخ تطور الأفكار من أن الانتاج الفكرى يتغير فى نوعه بنسبة تغير الانتاج المادى؟)([2])

مسألة النسبية في القيم والأخلاق عند حنفى فى ميزان الإسلام:

إن مسألة النسبية في القيم والأخلاق لا تصلح بتاتاً فى الإسلام لأن:

١– القيم والأخلاق إذا تركت للمواءمات بين الإنسان وبيئته؛ تتغير بتغير الظروف والأحوال فإنها سرعان ما تفقد قيمتها، ويتلاشى أثرها؛ خاصة إذا خرجت من معتقد فاسد يجعل

[1] –القول الشيخ محمد الغزالى رحمه الله

[2] – الإسلام في وجه الزحف الأحمر– الشيخ محمد الغزالي– ص٢٦– دار نهضة مصر–الطبعة الأولي بدون

الإنسان نهماً في تحقيق ما يشتهي ويتمنى، ولا يتطلع إلى الحساب، والوقوف بين يدى الله الواحد القهار.

٢- إن نسبية القيم والأخلاق وتطورها حسب الزمان والمكان أمرٌ معارض لناموس الكون، وبدهيات العقول، وحقائق الدين، ومن لوازمه عالم كله فوضى وعبث؛ القوى يأكل الضعيف، والكبير يمحق الصغير، فتنتفى معانى الإنسانية وينتهى الأمر إلى دمار العالم وهلاكه.

٣- ثبات الأخلاق أمرٌ مقرر في الشرع وعند العقلاء من الناس لأن الحياة البشرية لابد لها من محور ثابت تدور حوله؛ وإلا تحولت إلى العبثية والدمار،وهذا أمر ترفضه الشرائع السماوية التى تقرر أن الله لم يخلق شيئاً عبثاً، يقول تعالى:(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ) [1] .

([1]) سورة المؤمنون، الآية (١١٥) .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

فلقد جعلت نتائج البحث حكما على حسن حنفى بما له وما عليه:

أولا : مميزات الدكتور حسن حنفى: يتميز الدكتور حسن حنفى بعدة أمور أهمها:

١- الأدب وحسن الخلق فى التعامل مع الآخرين :

يتميز حنفى بغض الصوت، وهجر البذاء ، والتواضع ، وهدوء النفس، وحسن المجالسة للآخرين، فعندما يستمع المرء إلى آحاديثه يجد الأدب الجم مع مخالفيه ؛ فهو يناقش قضايا فكرية، ولا يتطرق إلى ما عداها من أمور خاصة بالخصم ،لا تزيد الموقف إلى تشنجا وتعصبا،وإن المرء ليحزن عندما يجد هذا الأدب عند رواد أهل الحداثة، ويفتقده عند بعض أهل الدعوة ممن لا يلتزم بأدب الحوار ، ولا أدب الخلاف ،ولكن يوسعك تفسيقا، وتبديعا، وتجهيلا، وتكفيرا؛ فتضيع النصيحة وسط ذلك الركام من سوء الأدب والخلق، مع الأمر الإلهى المقتضى الرأفة، والرقة، وحسن الأدب؛ قال تعالى :(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)([١])

٢- إجادة اللغة العربية قدر الاستطاعة :

يتميز د.حسن حنفى بإجادته للغة العربية؛ كتابة ونطقا؛ فيتميز الرجل بالملكة اللغوية، والقدرة التعبيرية التى وهبه الله إياها؛ فالرجل رغم مشروعه الفكرى التغريبى العلمانى إلا أنه يحافظ على اللغة العربية قدر الاستطاعة.

٣- إجادة اللغات الأعجمية:

يتميز د.حسن حنفى بإجادته للغة الفرنسية، والإنجليزية، والألمانية؛ويرجع سبب اتقانه لهذه اللغات إلى:(حرصه الشديد ورغبته الملحة فى تعلم لغة الأقوام والاستفادة من علومهم .

تعلمه على يد متخصصين فى هذه اللغات؛ فتعلم اللغة الإنجليزية على يد مدرسين انجليز فى مرحلتى الابتدائية، والثانوية يوم أن كانت مصر تئن تحت وطأة الاحتلال الإنجليزى ،

---

[١] -سورة آل عمران آية ١٥٩

وتعلم اللغة الفرنسية على يد فرنسيين عندما دخل قسم الفلسفة فى جامعة القاهرة من عام١٩٥٢إلى عام١٩٥٦م وكان ذلك قبل أن يغادر الفرنسيون مصر بعد تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦م،وظهر هذا الأثر فى قدرته على كتابة رسالته للدكتوراة عن الفلسفة الألمانية باللغة الفرنسية ؛ مما حدا بالإعلام الفرنسى فى ذلك الوقت أن يشيد به لإجادته اللغة الفرنسية بجانب لغته الأم، وتعلم اللغة الألمانية بالمحاكة للطلاب الألمان الذين عايشوه فى بيت الطلاب الألمان بفرنسا)([١]).

ويدعو حنفى الباحثين إلى تعلم اللغات المختلفة ؛ لأن ترجمة النص من مظَانه يفيد أكثر من قراءته مترجما؛ فالترجمة تعطى آفاقا للمعرفة ولكنها لا تفيد المعنى مثل قراءته بلغته الأصلية؛(لذا يعيب د.حنفى على طلاب الدراسات العليا ،والماجستير، والدكتوراة ضعفهم فى اللغات الأخرى ، ويطالب بأن تكون الترقية فى العمل الجامعى مشروطة بإجادة اللغات الأجنبية) .([٢])

وهذا الكلام من د.حنفى يتفق مع الإسلام فى دعوته لمعرفة لغات الآخرين؛ لأخذ خيرهم ، ودفع شرهم، والتمكن من هدايتهم ؛لاسيما وأن اللغة أداة الفهم بين الداعى والمدعو، لذا نجد سبحانه وتعالى يرسل كل رسول بلغة قومه للتمكن من هدايتهم ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ([٣]) ؛ فتعلم لغة الآخرين ، وترجمة كلامهم من الأهمية بمكان للقدرة على فهمهم وإقناعهم ، يقول الإمام الزمخشرى رحمه الله: (فإن قلت : لم يبعث رسول اللّه ﷺ إلى العرب وحدهم ، وإنما بعث الى الناس جميعا ، وهم على ألسنة مختلفة، فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة ، وإن لم تكن لغيرهم حجة؛ فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة – أيضا – قلت : لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها ، فلا حاجة إلى نزوله بجميع

---

[١] –فيديو: حلقة برنامج العاشرة مساءا – قناة دريم ٢ في يوتيوب– مفكرون يبحثون عن إجابة لسؤال النهضة: د.حسن حنفي: الطريق إلى نهضة عربية يبدأ من الجماهير: ٢٠٠ عام من التجريب والمحاولات الفاشلة للدخول إلي عصر النهضة، إسلام أون لاين، ٣١ ديسمبر ٢٠٠٧م

[٢] – نفس المصدر السابق

[٣] –سورة إبراهيم٤

الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل ، فبقى أن ينزل بلسان واحد. فكان أول الألسنة لسان قوم الرسول ﷺلأنهم أقرب إليه ؛ فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر ، قامت التراجم ببيانه وتفهيمه) ([1])، وإضافة لما قاله الإمام الزمخشري رحمه الله ؛ فإن تعلم لغة الآخرين يبعد عن الريب والشك؛ خاصة فى ذلك الزمان الذى وجدنا فيه تحريفا فى الترجمة ، وإخراجا للألفاظ عن معناها الحقيقى، وهذا يبين مدى المسؤولية المنوطة بالمسلمين لاسيما أهل العلم منهم.

ثانيا : عيوب حسن حنفى

من خلال النظر فى فكر حسن حنفى يمكن استنباط أظهر السلبيات ، والمثالب ، والعيوب :

١- التناقض الظاهر فى الفكر:

إن فكر الدكتور حنفى ظاهر التناقض، لأنه يقوم على التأويل الفاسد ، والتغليط المقصود، ولا يقوم على الشرع الصحيح ، ولا على العقل السديد؛ لذا كثُرت تناقضاته وتحريفاته.

مثال ذلك: قول حنفى عن الوحى إنه لا يثبت شيئًا ، وليس فيه اليقين والصدق:(إن النقل لا يُعطي إلا افتراضات يمكن التحقق من صدقها في العقل ومن صحتها في الواقع، كما يعطي حدوسًا يمكن البرهنة على صدقها بالعقل وعلى صحتها في التجارب اليومية ويكون المحك في النهاية العقل والواقع، العقل وحده وسيلة التخاطب، والواقع وحده هو القدر المشترك الذي يراه جميع الناس، فالاستدلال العقلي والإحصاء الاستقرائي دعامتا اليقين"[(٢)].

ثم يأتى بعد ذلك يعارض قوله السابق فيثبت للوحي الصدق واليقين :(الوحى يعطي العقل بداية يقينية مطلقة حتى يتجنب الإنسان محاولات الخطأ والصواب إلى ما لا نهاية، ويبقى احتمال الخطأ في الفهم والتطبيق أقل"[(٣)].

---

[1] - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي- تحقيق : عبد الرزاق المهدي-جزء ٢ ص٥٠٦-دار إحياء التراث العربي - بيروت-لبنان

(٢) من العقيدة إلى الثورة (٣٧٣/١).

(٣) المرجع نفسه (٦٢/٤،٦٣).

٢- تفريغ الدين من محتواه :

إن الدكتور حسن حنفى يخرج النصوص الشرعية من سياقها الصحيح ، و يُحملها مالا تحتمل ؛ لتطويعها واستخدامها فى تهميش الدين، و خدمة العلمانية ، وصرف الناس عن عبادة خالقهم ، و تحويلهم إلى عبادة أنفسهم ،وأهوائهم؛ وأكبر مثال ذلك ما ادعاه فى الابتهال والدعاء لله، وسؤاله وشكره، حيث زعم أن دعاء العبد لله نوع من الانحراف فى السلوك ،والعجز النفسى ؛ والوعى المزيف؛ يقول حنفى : (الابتهال والدعاء والسؤال والشكر كل ذلك ليس دليلا على وجود قوة خارجية يستدعيها الإنسان كى تتدخل فى فعله وتعينه على الاتيان به بل مجرد موقف إنسانى يدل على انحراف فى السلوك، ففى مجتمع مهزوم تكثر مثل هذه الابتهالات والدعاءات لطلب النصر لعجزه عن الاتيان بالنصر بالفعل ، وفى خضم هذه الانفعالات الحادة يشأ فعل جاد ولكنه منحرف وهو الابتهال والدعاء، وفى اللحظة التى يدرك فيها المهزوم خطة عمل وباعثا وغاية يبطل دعاءه وابتهاله، ويحقق ما يريده بفعله الخاص وهو قادر عليه ، الابتهال فعل الضعيف العاجز،ونشاط انفعالى حين يعجز عن الفعل ، وإغراق فى الأدب والتصوف حين يطمس العقل ويزيف الوعى)([1])

ويدعى حنفى أن هذه العلاقة بين العبد وربه ماتظهر إلا فى ظل التخلف ، والرجعية،والانحطاط.

يقول حنفى : (وقد انتشرت الأدعية والتواشيح والابتهالات فى عصور التخلف والانحطاط مع الفرق الصوفية وبعد تشخيص الوحى فى محمد كما تم من قبل تشخيص الوعى الخالص فى المؤله)([2])

والعجب كل العجب فى افتراء الدكتور حنفى على جموع المسلمين الداعين إلى الله والمبتهلين إليه؛واتهامهم بأنهم يشخصون الوحى فى رسول الله (ﷺ)، مع أننا لم نجد منهم من يقول ذلك ، فهم يعلمون أن الرسول الله (ﷺ) بشر ، ومبلغ عن ربه، قال

---

[1] – من العقيدة إلى الثورة ج٣ ص١٥٩

[2] – المرجع السابق ص١٦٠

تعالى :(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)([1])

فأى إنصاف يدعيه حنفى ، وأى أمانة علمية يتكلم عنها ، وأى تجرد عقلى ينادى به !!

إن حنفى يغض الطرف عن النصوص ، وينحيها بصورة مجة ؛ ليهمش الدين ، ويفرغه من مضمونه ومحتواه ؛والشاهد على ذلك أن يجعل أرقى درجات القرب إلى الله، والعروج الروحى إليه نوعا من الشحاذة والسؤال، يقول حنفى : (وكثيرا ما يتحول التضرع والابتهال إلى تملق ونفاق وتقرب وإذلال للنفس باسم الدعاء ويكون أقرب إلى الشحاذة أو السؤال ؛ الكفان إلى أعلى للاستجداء،والدموع فى العينين للاستعطاف ، وحشرجة الصوت وانسداد الأنف من البكاء ، وإنما البكاء للنساء!)([2]) فحنفى يضرب بآيات القرآن وأحاديث النبى (ﷺ)عرض الحائط ، ليصل إلى زعمه وخطله ، وكأن الوحى أصبح تراثا ، أو كمَا مهملا يجب التخلى عنه ، أو تغييره .

٣- كثرة الحشو :

إن فكر الدكتور حنفى مليء بالمفتريات، و الأباطيل ،والمغالطات والتحريفات، و الدعاوى العريضة؛ لذا جاء إنتاجه الفكرى كثير الحشو ، و النقل ، و الأخطاء و المبالغات.

مثال ذلك: كتابه (من العقيدة إلى الثورة) فقد صنفه فى عدة أجزاء؛ لو جردناه من الحشو ، والنقل، والتكرار لم يبق من فكر الرجل إلا القليل ، وأصبح الكتاب لا يزيد عن جزء و نصف على الأكثر.

٤- التلاعب بالمصطلحات :

يتلاعب الدكتور حنفى بالمصطلحات، فيخرجها عن مضمونها، وعما وضعت له إمعانا فى التضليل العلمى ، وسأضرب على ذلك مثالين :

---

[1] -سورة الكهف آية ١١٠

[2] - المرجع السابق ص١٦٠

المثال الأول: ما قام به الدكتور حنفى من فرض مفهوم التاريخية على دين الإسلام لنقض مبدأ صلاحية الإسلام لكل زمان و مكان ؛ ولكن تحت مسمى "أسباب النزول" ؛ مستخدما فى ذلك أسلوب التضليل العلمى ، واللعب بالمصطلحات .

المثال الثانى: مفهوم "اليسار الإسلامى" الذى ينادى به حنفى ماهو إلا فكر المعتزلة قديما، والفكر الغربى حديثا؛ فى التحسين والتقبيح العقليين، وتقديم العقل على النص (فاليسار أقرب إلى الأصول الخمسة عند المعتزلة، ومقاصد الشريعة الخمسة فى أصول الفقه)([1]) ولكن كعادة الرجل يغيِر المفاهيم ، ويلبسها لباس التنظير العلمى ؛ للخداع والتَعمية.

ومما يجب التنبيه عليه : إن مشروع اليسار الإسلامى الذى ينادى به حنفى لم يلق قبولا من الناس،

بل لم يتعداه إلا لقلة من تلاميذه ؛ وهذا ما صرح به يوم الخميس الموافق٣١ أكتوبر٢٠١٣م فى مقال له بعنوان:(هل فشل مشروع «اليسار الإسلامى»؟ حيث قال:(اليسار الإسلامى ضعيف مازال ناشئاً ليس له مصطلحاته، وليس له نفس القدرة على التنظير) ([2])

٥- إن الدكتور حنفى يتخذ من الاهتمام بالتراث الإسلامى مُنطلقا ووسيلة للطعن في الدين وإثارة الشكوك والشبهات حوله من جهة ، والانتصار للفرق و الاتجاهات المنحرفة عن الشرع من جهة أخرى، فهو يهتم بتراث المسلمين لغايات مذهبية على حساب دين الإسلام وأهله .

٦- الولع الشديد بالغرب دون تمعن :

ولع حنفى بعلمانية الغرب؛ واختلط ذلك الولع بلحمه ودمه، وملك عليه تلابيب نفسه؛ بحيث لو دخل الغرب جحر ضب لدخل وراءه؛ وصدق ابن خلدون رحمه الله عندما

---

[1] – جريدة المصرى اليوم – العدد٣٤٢٧- الخميس ٣١ اكتوبر ٢٠١٣م)

[2] – المرجع السابق بتصرف

قال:(المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب)([1]) ؛ وكان الواجب عليه التبصر والتمعن والتدقيق فيما ينقله عنهم؛ لاسيما وأنه يدعى التجرد والإنصاف.

وأما أهم التوصيات فتتمثل فيما يأتى :

١- الدعوة لدراسة أفكار المعتزلة بتمعن وإتقان ، ومعرفة ردود العلماء القدامى عليهم ؛ حتى يتسن لنا الرد على أهل الحداثة والتنوير؛ لاعتمادهم أفكار المعتزلة كأساس لمناهجهم الفكرية، وهذا أبلغ رد على الذين يقلِلون من أهمية دراسة هذه العلوم أو يحرِمونها،وهم يجهلون فوائدها العلمية،وقيمتها الجدلية.

٢- الإخلاص فى عرض الصورة الناصعة المعتدلة للإسلام ، والتفريق بينها وبين سلوكيات البعض وآرائهم الشخصية ؛ حتى لا تتخذ تكأة فى النخر فى دين الله تعالى .

٣- دفع طلاب الدراسات العليا وما فوقها لدراسة مناهج التنويريين ، والحدثيين ؛ وتكوين آليات علمية منهجية فى الرد على دعاتها؛ لكشف زيفهم ، وبيان ضلالهم .

٤- دعوة طلاب العلم التزام الأدب مع المخالفين؛ والبعد الغلظة وسوء الأخلاق ؛ فإن الرفق لا يكون فى شيء إلا زانه ، وإن العنف لا يكون فى شيء إلا شانه ، وحسبنا فى ذلك وصف الله سيد المرسلين (ﷺ) (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)([2])

٥- الدعاء لحسن حنفى ومن على شاكلته بالهداية؛ لعل الله يأخذ بأيديهم إليه إنه ولى ذلك والقادر عليه.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د. محمود رشاد محمد
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
الشرقية- الزقازيق – بنى عامر

[1] – تاريخ ابن خلدون – ج١ص١٤٧ – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان

[2] – سورة الأنبياء آية ١٠٧

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- أسباب نزول القرآن- أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى : ٤٦٨هـ)- تحقيق كمال بسيوني زغلول- دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ

٢ – اسبينوزا :رسالة في اللاهوت والسياسة- ترجمة د.حسن حنفى – ص١٨- ط١ الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٣م

٣- الإسلام في وجه الزحف الأحمر- الشيخ محمد الغزالي- دار نهضة مصر-الطبعة الأولي بدون

٤- إعجاز القرآن-أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني- -تحقيق السيد أحمد صقر دار المعارف مصر-ط١٩٩٧م

٥- الأعلام من الفلاسفة- باروخ سيبنوزا فيلسوف المنطق الجديد-الشيخ كامل محمد محمد عويضة – دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ١٤١٣هـ-١٩٩٣م

٦- البحر الرائق شرح كنز الدقائق – زين الدين ابن نجيم الحنفي المتوفى ٩٧٠هـ- دار المعرفة- بيروت

٧- بين الإسلام والغرب ضراوة أحقاد ومرارة حصاد، د/ علي عبد الوهاب- دار ركابي للنشر، ط/١، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م . والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

٨- التحرير والتنوير . الشيخ محمد الطاهر بن عاشور- دار سحنون للنشر

٩- تاريخ ابن خلدون – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان بدون

١٠- التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم – د.حسن حنفى – ط١المركز العربى للبحث والنشر القاهرة١٩٨٠م

١١- التعريفات – علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) ٧- دار الكتب العلمية بيروت -لبنان- الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

١٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- أبو عمر يوسف بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ)- تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكرى - مؤسسة قرطبة بدون.

١٤- التنبيه في الفقه الشافعي - إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازى أبو إسحاق المتوفى ٤٧٦ هـ- تحقيق عماد الدين أحمد حيدر- عالم الكتب - بيروت - ١٤٠٣هـ

١٥- الثمر الداني في تقريب المعاني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني- صالح بن عبد السميع الآبي الأزهري (المتوفى : ١٣٣٥هـ)- المكتبة الثقافية - بيروت

١٦- (جريدة المصرى اليوم - العدد٣٤٢٧- الخميس ٣١ اكتوبر ٢٠١٣م)

١٧- جامع الأصول في أحاديث الرسول- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ) تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط -- مكتبة الحلواني -الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م

١٨ الجامع الصحيح سنن الترمذي - محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي - تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون - دار إحياء التراث العربي - بيروت.، ١٤١١هـ

١٩- الجامع الصحيح المختصر- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي - تعليق د. مصطفى ديب البغا -دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت - الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م

٢٠- دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، د/ محمد عبد الله دراز- دار المعرفة الاجتماعية، الإسكندرية، ط/١، سنة ١٩٨٩م .

٢١- الدين والثقافة والسياسة فى الوطن العربى - د. حسن حنفى - دار قباء للطباعة والنشر ط١ - ١٩٩٨م

٢٢- عجز العقل العلماني-عيد الدويهيس- الكويت - الطبعة الأولى شوال ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠ م

٢٣- العلمانية بين الغرب والإسلام، د/ محمد عمارة، - دار الوفاء، ط/١، سنة ١٤١٧هـ/

٢٤ - العلمانية فى مصر وأشهر معاركها، د/ إلهام محمد شاهين- دار هارمونى ط/١، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٢٥- الفرق- حسن السيد متولي- دار الطباعة المحمدية،، ط/١، سنة ١٣٩٢هـ . ١٩٧٢م .

٢٦- القاموس المحيط- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - مؤسسة الرسالة- بيروت

٢٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي- تحقيق : عبد الرزاق المهدي- دار إحياء التراث العربي - بيروت-لبنان

٢٨- لباب النقول في أسباب النزول - الإمام جلال الدين السيوطي- دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان بدون .

٢٩- لسنج : تربية الجنس البشري- ترجمة الدكتور حسن حنفى - ط١ دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧٧م

٣٠- لسان العرب لابن منظور - تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون - دار المعارف- القاهرة بدون

٣١- المبدع شرح المقنع- إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى : ٨٨٤هـ) - دار عالم الكتب، الرياض- ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م

٣٢ - محمد ﷺ المثل الكامل، تأليف: أحمد جاد المولى، تحقيق: عبد الرحيم مارديني- مكتبة دار المحبة، ط/١، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م

٣٣- المرأة المسلمة وفقه الدعوة إلى الله، د/ علي عبد الحليم محمود، - دار الوفاء، ط/٤، سنة ١٤٢٢هـ

٣٤- مستدرك الحاكم على الصحيحين- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري - تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى بدون

٣٥- المسند للإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني بتحقيق الأرنؤوط - مؤسسة قرطبة - القاهرة .

٣٦- معجم الفلاسفة- جورج طرابيشى- دار الطليعة بيروت ط٣ سنة٢٠٠٦م

٣٧- المعجم الفلسفى د.جميل صليبا -دار الكتاب اللبنانى ط١٩٩٨/٢م

٣٨- معجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب، مجدى وهبة وكامل المهندس – مكتبة لبنان ط١٩٨٤م

٣٩- المعجم الوسيط – إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار_ تحقيق : مجمع اللغة العربية- دار الدعوة بدون.

٤٠ – المفيد فى الفقه الإسلامى- د. عبدالرحمن العدوى – كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٥م

٤١- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة – شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي – تحقيق محمد عثمان الخشت- دار الكتاب العربي بيروت ط١/ ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م

٤٢- من العقيدة إلى الثورة- د.حسن حنفى – مكتبة مدبولى – بدون

٤٣- مناهل العرفان في علوم القرآن- محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى : ١٣٦٧هـ)- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – الطبعة الثالثة بدون.

٤٤- الموسوعة الغزالية فى الجوانب الفلسفية – نيشته فيلسوف القوة-ا.د.محمد حسينى الغزالى- دار الكتب العامة الزقازيق- ط١:١٤٢١هـ٢٠٠٨م

٤٥- الموضوعات – الحسن بن محمد الصنعاني-دار المأمون للتراث بدون

٤٦- هموم الفكر والوطن التراث والعصر والحداثة – د. حسن حنفى- دار قباء للطباعة والنشر ط١ – ٢٠٠٣م